الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت

معهد الآدب واللّغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

موسومة بـ:

دراسة كتاب:

قضية الشّعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبان:

- ✓ غرسي رشيد
- ✓ نغلي أحمد

إشراف الأستاذ:

- ✓ د.فتح الله محمد

لجنة المناقشة:

الدكتور	محمود فتوح	رئيـــــسا
الدكتور	فتح الله محمد	مشرفا ومقررا
الدكتور	هدروق لخضر	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

1440 هـ/1441 هـ- 2019 /2020 م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن ولاه أما بعد:

وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم {من لم يشكر الله لم يشكر الناس ومن أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له} وعليه لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل والعرفان لكل من ساعدنا من قريب أومن بعيد للوصول إلى هذه النتيجة المباركة بإذن الله و إتمام هذا العمل في أحسن حال خاصة الأستاذ المشرف الدكتور: "**فتح الله محمد** "، والأخ "نورالدين " الذي ساعدنا في طبع المذكرة، والأستاذ "السعيد بوشنافة" كما لا ننسى بالطبع أساتذة المركز الجامعي بتسمسيلت.

إهداء

إلى العين التي سهرت لأجلي و القلب الذي صفا لأجلي إلى نبض فؤادي و نبض أفراحي إلى حبي الأبدي أمي الغالية.

إلى المنار الوهاج الذي أضاء دربي إلى شمعة ليلي و ضوء نهاري و بسمة قلبي و فرحة روحي إلى مثل الوفاء و رمز العطاء إلى الوالدين الكريمين.

إلى من أشد بهم أزري إخوتي و أخواتي

إلى كل من أحمل لهم الحب في قلبي أصدقائي وأحبابي

إلى كل من ساعدني في إعداد هذا العمل من قريب أو بعيد

رشيد

إهداء

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله تنزل الخيرات وبالتوفيق تتحق الغايات ما أجمل ان يهدي المرء أغلى ما يملك وأجمل أن يهدي إلى من قيل فيها "الجنة تحت أقدام الأمهات" إن الحياة ألم يخفيه أمل، والأمل يحققه العمل وينهيه أجل... وبعد ذلك يجزى المرء بما فعل

إلى من حملتني وهنا على وهن، إلى ما كان اسمها أول الكلام وحضنها أول من احتواني، ومسحت بدفء يدها دموعي إلى نبع الحنان التي علمتني أن الحياة كفاح وأن ثمارها بعد ذلك نجاح وأفراح فكنت برضاها عيني ترتاح، وأدعو لها لرب الليل والصباح أن يطيل عمرها وأن يجعلني دائما مطيعا لها، وأن تقر بعينها، ولا تغيب عنها دعواتها.

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، صاحب العواطف الدافئة والقلب أبي

إلى الذين زرعوا في فؤادي الحب والعلم والثقة، وكانوا نعم السند إخوتي

إلى من أرى التفاؤل بعينيهم والسعادة في ضحكتهم أخواتي

إلى من جمعتني بهم الأقدار فعشت معهم أحلي الأوقات، وقضينا أحلى الذكريات

أصدقائي وأحبابي

أحمد.....

بطاقة فنية

بطاقة فنية للكِتاب والكَاتب:

بطاقة فنية للكتاب:

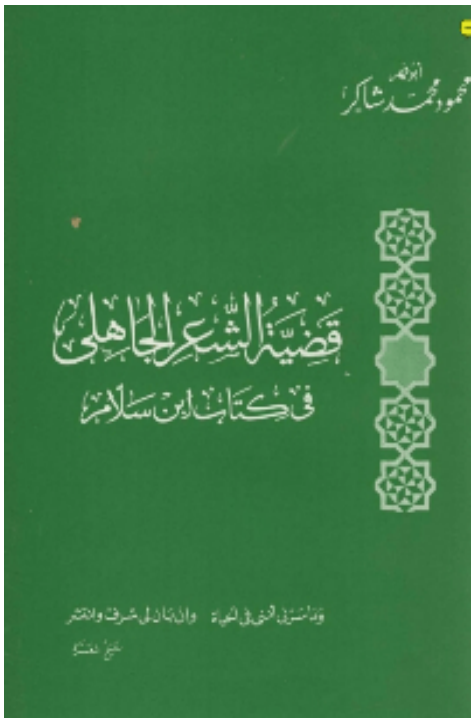

– **عنوان الكتاب:** قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام.

– **الطبعة:** الأولى.

– **دار النشر:** مطبعة المدني.

– **البلد:** القاهرة، مصر.

– **السنة:** 1997م.

– **حجم الكتاب:** متوسط.

– **عدد الصفحات:** 131.

بطاقة فنية للمؤلِّف:

– **المؤلف:** محمود محمد شاكر أبو فهر

– **الميلاد:**1 فبراير 1909م – 1327هـ بمحافظة الإسكندرية، مصر.

– **الوفاة:** 7 أغسطس 1997م، / 1418هـ، بالقاهرة.

– **الجنسية:** مصر.

– **الأب:** محمد شاكر.

– **الأخوة:** أحمد محمد شاكر.

– **الحياة العلمية:**

– **الفترة:** 88عاما.

– **المهنة:** أديب وصحفي ومحقق لكتب التراث.

– **اللغات:** العربية.

– **من أبرز أعماله:** المتنبي، أباطيل وأسمار رسالة في الطريق إلى ثقافتنا.

نمط صعب ونمط مخيف قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام.

تأثر بـ: أحمد محمد شاكر، مصطفى صادق الرافعي، عبد القاهر الجرجاني.

– **الجوائز:** جائزة الملك فيصل العالمية في اللغة العربية والأدب.

– **انتمائه:** إلى المدرسة التراثية الأزهرية.

– **منهجه:** في دراسة الأدب، المنهج الذوقي.

أبو فهر محمود محمد شاكر:

هو محمود بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر من أسرة أبي علياء الحسينية في جرجا بصعيد مصر. ولد في الإسكندرية في ليلة العاشر من المحرم سنة 1327 هـ / 1 فبراير سنة 1909 م، وانتقل إلى القاهرة في نفس العام مع والده، إذ عُيّن والده وكيلًا للجامع الأزهر، وكان قبل ذلك شيخًا لعلماء الإسكندرية.

نشأته:

نشأ الشيخ محمود شاكر في بيئة متدينة، إذ كان أبوه كبيرًا لعلماء الإسكندرية، ثم وكيلًا للجامع الأزهر. ولم يتلق إخوته تعليمًا مدنيًا، أما هو فقد كان أصغر إخوته . فقد انصرف إلى التعليم المدني، فتلقى أولي مراحل تعليمه في مدرسة الوالدة أم عباس في القاهرة سنة 1916م، وكان يقضي أوقات كثيرة في الجامع الأزهر، فقد سمع من الشّعر وهو لا يدري ما الشعر!! ومن الجدير بالذكر أنّه حفظ ديوان المتنبي كاملًا في تلك الفترة.

منهج التذوق:

بعد عودته من جدة، إلى القاهرة، انصرف إلى الأدب والكتابة وقراءة دواوين الشعراء حتى صارت له ملكة في التذوق، وبدأ ينشر بعض قصائده الرومانسية في مجلتي «الفتح» و«الزهراء» لمحب الدين الخطيب، واتصل بأعلام عصره من أمثال أحمد تيمور وأحمد زكي باشا والخضر حسين وعباس محمود العقاد ومصطفى صادق الرافعي الذي ارتبط بصداقة خاصة معه.

بدأ بإعادة قراءة ما وقع تحت يده من الشعر العربي، قراءة تختلف عن الأولى في أنها متأنية تتوقف عند كل لفظ ومعنى محاولا أن يصل إلى ما قد يكون أخفاه الشاعر في ألفاظه بفنه وبراعته، وهذا هو أساس منهج التذوق، الذي جعله منهجا شاملًا يطبقه على كل الكلام شعرًا كان أو غيره، فأقدم على قراءة كل ما يقع تحت يده من كتب أسلافنا: من تفسير لكتاب الله، إلى علوم القرآن، إلى دواوين الحديث، إلى ما تفرع منها من كتب مصطلح الحديث والجرح والتعديل وغيرها من كتب أصول الفقه وأصول الدين، وكتب الملل والنحل، ثم كتب البلاغة والنحو والتاريخ بحيث يكون اتجاهه من الأقدم فالأقدم.

ومع تطبيقه لأسلوب التذوق كان يقرأ كل التراث على أنّه إبانة عن خبايا كاتبه. يقول:« وشيئا فشيئا انفتح لي الباب على مصراعيه. فرأيت عجبا من العجب، وعثرت يومئذ على فيض غزير من مساجلات صامتة خفية كالهمس، ومساجلات ناطقة جهيرة الصوت، غير أن جميعها إبانة صادقة عن الأنفس والعقول»[1].

[1]- محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ط1، 1997، ص .29.

مقدمة

يعتبر كتاب الطبقات من أهم الكُتُب النَّقدية، التي أُلِّفت في مجال النَّقد الأدبي، سيما وأنَّ هذا الكتاب يُعدُّ الحجر الأساس في بدايات الكُتُب النَّقدية الأولى، والتي أصّلت للعمل النَّقدي، فقد ألّفه صاحبهُ محمد بن سلام الجمحي في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، فكان بذلك اللبنة الأولى في بناء النَّقد العربي، وتوسعة آفاقه، ونظرًا لأهمية هذا المؤلَّف في مجال النَّقد العربي، فقد أولوه العديد من النُّقاد والأدباء الكثير من عنايتهم، بالدراسة والبحث والشرح والتحقيق، ولعلَّ من أبرز هؤلاء الأُدباء " **محمود محمد شاكر** " في كتابه "**قضية الشِّعر الجاهلي في كتاب ابن سلام**"، والذي حاول من خلاله الكشف عن الوجوه الملثمة التي أحاطت برسالة ابن سلام مُثيرًا إزاء دراسته عدة قضايا رأى أنها من أهم القضايا التي تخص الشِّعر الجاهلي، منها : قضية أولية الشِّعر الجاهلي، قضية انتحال الشِّعر الجاهلي.

وهذا الكتاب قبل أن يكون كتابًا مؤلَّفًا هو عبارة عن محاضرة ألقاها العلامة الجليل محمود محمد شاكر، حين دعته جامعة الإمام محمد بن سعود ليحاضر طلابها في عام (1395 هـ-1975م). فألقى هذه المحاضرة الممتعة عن الشِّعر الجاهلي، وقد تولت مجلة العرب نشر هذه المحاضرة في العام نفسه، ولم تنشر بعد ذلك التاريخ إلى أنْ نُشِرت كتابًا مطبوعًا من طرف مطبعة المدني في عام (1417هـ-1997م).

وقد كان لهذه المحاضرة أهمية بالِغة في الكشف عن الوجوه الملثمة، التي أحاطت برسالة الطَّبقات كما أنها استطاعت أن تذهب الغموض والشك في صِحة الشِّعر الجاهلي .

واختيارنا لدراسة هذا الكتاب لم يكن وليد صّدفة لكننا وبعون الله وتوفيقه، وبعد تفكير وتقدير رأينا أنَّ هذا الكتاب لم ينل حقه من الدراسة إلا بعض المحاولات السطحية البسيطة علاوة على أنَّ هذا الكتاب يتناول بالدرجة الأولى كتاب الطبقات الذي يُعتبر إحدى الركائز الأساسية في النَّقد العربي القديم. هذا من زاوية ومن زاوية أُخرى نظرنا في المصادر والمراجع التي المشابهة لموضوع بحثنا فوجدناها متوفرة بكثرة مما يُسهل علينا الخوض في غمار البحث خاصة في ما يتعلق بكتاب الطبقات وقضايا الشِّعر الجاهلي التي أثارها محمد شاكر، إضافة إلى حب التطلع والاكتشاف.

وككل المؤلَّفات لا تخلو من خطة تضبط محتوى الكتاب وأفكار المؤلِّف حيثُ استهل مؤلَّفهُ بمُقدِّمة موضحًا فيها الدواعي والأسباب التي جعلته يخوض في غمار هذا البحث، موضحًا منهجهُ – منهج التذوق– معلنًا أنَّهُ منهجه الذي اعتاده في دراسة كتُب القدامى مبرزًا أهم القضايا التي تناولها في بحثه.

أمَّا الأسلوب الذي انتهجه في بحثه فإنَّ أرجح الرأي عندنا هو أسلوب يتراوح مابين العمق والبساطة.

أمَّا بخصوص المراجع التي تناولت رِسالة الطبقات فهي عديدة ومتنوعة، نذكر منها كتاب"**النَّقد المنهجي عند العرب**" للدكتور "**محمد مندور**"، وكتاب "دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث "**للدكتور بدوي طبانة**" وأيضًا كتاب "**منهج التأليف عند العرب** " للدكتور "**مصطفى الشكعة**" وهذه المراجع وإن لم تتعمق بالبحث في رسالة الطبقات فإنها خصصت جزءًا أو بابًا على الأقل في دراسة جزئية معينة في رسالة ابن سلام وجهوده في النَّقد العربي.

كانت دراستنا لكتاب قضية الشِّعر الجاهلي في كتاب ابن سلام محاولة للإجابة عن سلسلة من الأسئلة منها :

- ما هي أبرز القضايا التي تناولها محمد شاكر في كتابه؟
- إلى أي مدى استطاع محمد شاكر الفصل في هذه القضايا وكيف فصل فيها النُّقاد القدامى والمحدثين؟
- ما هي أبرز المعارك والخصومات الأدبية التي خاضها محمد شاكر ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات وأخرى ضبطنا بحثنا بخطة محكمة، حيثُ تضمن البحث مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

فالمقدمة احتوت عرضًا مختصرًا حول الموضوع والإشكالية والخطة والمنهج.

أما المدخل فقد تضمن نبذةً عامة لمضمون الكتاب والقراءة الدلالية والسيميائية لواجهة الكتاب وعنوانه والدواعي التي جعلت المؤلف يكتب هذا الكتاب بالإضافة إلى القيمة العلمية لعمله.

أما بالنسبة للفصول فقد خصصنا الفصل الأول لتلخيص الكتاب وما جاء فيه من قضايا والفصل الثاني خصصناه لقضيتين بارزتين في الكتاب وهي قضية أولية الشِّعر الجاهلي وقضية الانتحال، كما تناول هذا الفصل أبرز خصومات ومعارك محمد شاكر الأدبية.

وخاتمة كانت عبارة عن حوصلة لما توصلنا إليه.

وكأي بحث من البحوث لابد من منهج يتكئ عليه، حيثُ قام بحثنا على مزيج من المناهج منها: المنهج التحليلي الوصفي في تلخيص وتحليل فقرات الكتاب والمنهج المقارن في مقارنة الآراء والأفكار في مجال الدراسة، سيما وأنَّ أفكار وآراء الباحثين تختلف من الناحية المنهجية والمعرفية.

ومن المراجع التي اعتمدنا عليها نذكر منها :

- قضية الشِّعر الجاهلي في كتاب ابن سلام لمحمود محمد شاكر.
- كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي.
- تاريخ النَّقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري للطاهر أحمد إبراهيم.
- تاريخ آداب العرب لناصر الدين الأسد.
- تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي.
- النّقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة لمحمد مندور .
- أباطيل وأسمار لمحمود محمد شاكر

وككل بحث أكاديمي تقف في وجهه الكثير من العراقيل، فإننا واجهتنا العديد من العراقيل والصعوبات محاولين التغلب عليها وتجاوزها من بينها: كثرة المادة العلمية والمعرفية وصعوبة التحكم فيها.

وفي الأخير لا ننسى أن نتقدم بالشُكر الجزيل والامتنان لأستاذنا الفاضل "**فتح الله محمد**" لِما قدمهُ لنا من نصائِح قيّمة وتوجيهات صائبة، ولم يبخل علينا بعلمه ولا بجهده.

ونسأل الله أن نكون قد وفقنا في إنجازنا لهذا العمل.

حرر بتيسمسيلت يوم:2020/08/21

غرسي رشيد

نغلي أحـمد

مدخل

يعد كتاب "**قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام**" من أبرز الكتب التي استطاعت أن تكشف عن الوجوه الملثمة التي أحاطت برسالة الطبقات لابن سلام وكما جاء في التقديم، أنَّ هذا الكتاب عبارة عن محاضرات ألقاها العلامة الجليل محمد شاكر في جامعة الإمام محمد بن مسعود عام 1975م، وقد تولت مجلة العرب نشر هذه المحاضرة في العام نفسه.[1]

وقد سميت هذه المحاضرة "**بقضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام**" ورغم صغرها فإنها أثارت ثلاثة قضايا تخص الشعر الجاهلي منها قضية أوّلية الشّعر الجاهلي وقضية الشعراء الجاهليين المعروفين وقضية انتحال الشّعر الجاهلي وما وصلنا عن العلماء الرواة.[2]

أما عن مضمون الكتاب فقد تناول موضوعات عديدة تدور حول رسالة ابن سلام مثيرًا شاكر إزاءها القضايا التي ذكرناها آلفا مبتدئا بالدراسة الأدبية ومنهجه في قراءة كتب القدامى وهو منهج التذوق ثم عرض قضايا الشِّعر الجاهلي الثلاث وبدأ في الحديث عن أول قضية وهي قضية عمر الشِّعر الجاهلي ورأي الجاحظ فيه.[3]

وانتهى في دعوة للجاحظ لاستظهاره لعمِّ الشِّعر بأنها دعوة باطلة لا تقوم على حجة ولا برهان وأنها تهجم على غيب بلا دليل.[4]

---

[1]- ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص03.

[2]- المصدر نفسه، ص.03.

[3]- المصدر نفسه، ص.05.

[4]- المصدر نفسه، ص11 إلى ص.16.

ونظر محمد شاكر في رسالة الطبقات وسياقاتها فقسمها إلى ثلاثة سياقات وأعاد ترتيبها خلافا عن ترتيب ابن سلام وقال بأنَّ إعادة ترتيبها مهم جدًا حيث يسهل ويساعد على فهمها ويذهب عنها الغموض.[1]

ثم كشف عن خمس وجوه مُلثمة أحاطت برسالة الطبقات وعرض ترجمة ابن سلام في كتب تراجم الرجال والعلماء والأدباء ورأى أنها موجزة مختصرة ثم تطرق لأسانيد الطبقات وقيمتها وتاريخ تأليف ابن سلام كتبه منتهيًا إلى أنَّ ابن سلام ألَّف كتبه في آخر سنه وأثار إلى أثر تأخر سنه على تأليف الطبقات وما صاحبها من خلل أرجع ذلك إلى العجز والنسيان والقلق الذي صاحب الذي أصاب ابن سلام في آخر حياته.[2]

وبعد ذلك تعرّض إلى الدواعي التي جعلت ابن سلام يُؤلِّف كتاب الطبقات وذهب إلى أنَّ ابن سلام تأثّر بالعلماء الذين سبقوه بتأسيس العلوم أمثال الخليل وسيبويه والأخفش ويحي بن معين الذين برزوا في تأسيس علوم الحديث والجرح والتعديل وهذا ما زاده رغبة هو أيضًا أن يؤلِّف في الشِّعر وأخبار العرب وأشرافها وسادتها.

كما أشار إلى تفكُّك فقرات رسالة ابن سلام وعلل ذلك لعدة أسباب منها تأخر سنه والعلة التي أصابته واتبعها بالكشف عن الذين عناهم ابن سلام "**بقوله القوم**" منتهيا إلى طرق تلقي الشِّعر وتذّوق الكلام وكيف كان والقرآن ونزوله وصلته بالتذّوق الشعري وهو دراسته لرسالة الطبقات وأثار القضايا الثلاثة التي ذكرناها آلفا مبرزًا رأيه فيها.[3]

سبق وان ذكرنا أن هذا الكتاب هو محاضرة ألقاها محمد شاكر في جامعة الإمام محمد بن سعود عام 1395هـ الموافق لِـ1975م وقد تولت مجلة العرب نشر هذه المحاضرة في العام نفسه ثم

[1]- محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.ص. 24-29.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص.30-45.

[3]- ينظر: قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.ص. 72 –123.

أعيد نشرها على شكل كتاب من طرف مطبعة المدني بمصر سنة 1997م بعنوان قضية الشِّعر الجاهلي في كِتاب ابن سلام.[1]

وككل المؤلَّفات لا تخلوا من واجهة بإمكانها أن تخضع لدراسة سيميائية مقاربة فقد جاءت واجهة هذا الكتاب باللون الأخضر الفاتح، وهو لون ترتاح له نفسية الناظر إليه ولعل أول ما يتبادر في ذهن المتصفح لهذا الكتاب من خلال اللون واجهته باللون الأخضر أنه يُوحي على راية الإسلام، وما يؤكد ذلك أيضًا الزخرفة الموجودة على هامش الواجهة وهي زخرفة من النحت الإسلامي والتي كثيرًا ما نجدها في المعالم الإسلامية.

أما العنوان واسم المؤلِّف جاء بلون مخالف لواجهة الكتاب وهذا ما يُعطي للقارئ التناسق، حيث جاء العنوان بخط مقروء ومشكل تظهر عليه سمات الرسم الإسلامي.

كما أن العنوان من ناحية الدلالة فهو يشوِّق القارئ وذلك من خلال سمات تجذبه، حيث أن حسن اختيار الألفاظ ومعانيها كمثل لفظة قضية لها أثر كبير من نفسية تدفعه لقراءته، وكذا كلمتين الشِّعر الجاهلي فنحن نبحث عن خبايا ديوان العرب، بل أحسن ما ميَّز العرب في العصر الجاهلي من فصاحة وبلاغة في الكلام ولغة نزل بها كتاب رب العالمين تكريمًا وتشريفًا له خاصة وللإنسانية عامة وفي العنوان هناك تخصيص دون تعميم وذلك في عبارة قصية الشِّعر الجاهلي أتبعها في كتاب ابن سلام وهناك نجده خصّ هذه القضية في كتاب ابن سلام ومن دلالات التي نستنتجها أيضًا أنَّ كتاب ابن سلام يحمل العديد من القضايا فمسقط اختيار المؤلِّف على قضية الشِّعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، كما أن هذه القضية كانت المستحوذ الأكبر مُقارنة إذا ما قورِنت بالقضايا التي تناولها ابن سلام .

[1]- قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص..03

وابن سلام يعد من أوائل النقاد في الشِّعر العربي ومن الصفات الذي على تصفية وتنقية الشِّعر العربي من الغث المصنوع وجعل الشُّعراء طبقات، وكشف بعض أكاذيب الرواة وهذا كل ما نجده في كتابة طبقات فحول الشُّعراء.

وإذا عندنا إلى واجهة الكتاب ولونها والرموز التي تحملها فهي كما ذكرنا قبل قليل فيها إيحاء واضح بين للقارئ المتبصر وذلك أنَّ ما تحمله هذه الرموز من لون وخط وزخرفة مرتبط ارتباط وثيق بروح الإسلام والعروبة وتراث، كيف لا وأن محمود محمد شاكر أديب واسع المعرفة له دين ومروءة وفيه تحرج وخشية وقد نشأ في بيت له ماضي في الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه والذوق عن حرمانه.[1]

بل أن هذه الواجهة تختصر سمة محمود شاكر الرجل المدافع عن العروبة والإسلام والتراث فهو رجل موسعي في المعرفة وعبقري في التفكير حبرٌ فذ في تحقيق التراث وهذا ما جعله من الرموز التي تفخر بها الأمة في حاضرها بما اتسم ذكره بالعمق والأصالة وطول النفس.[2]

بل إنَّ جهود شاكر في نشر التراث، باعًا لا يدرك وقد مارسته وذلك أنه أجاد كل الإيجاد فيما عرض له من إحياء التراث وتحقيق النصوص وكان أشدُّ الحرص على الرفع من شأن العربية والذود والدفاع عنها.[3]

وحتى لا نغفل إحدى العتبات النصية التي احتوتها واجهة الكتاب فلابد أنْ نُلقي نظرة خاطفة على البيت الشِّعري الوارد في الزاوية اليسرى في أسفل الواجهة ونص البيت الشِّعري للشيخ المعرى في قوله:

وَما سَرَّني أَنَّني في الحَياةِ وَإِن بانَ لي شَرَفٌ وَاِنتَشَر

[1]- عايدة الشريف، محمود محمد شاكر قصة قلم، دار الهلال، ب.ط، 1997، ص44.

[2]- المرجع نفسه، ص .101.

[3]- ينظر: محمود إبراهيم الرضواني، شيخ العربية وحامل لوائها، أبو فهر محمود محمد شاكر، بني الدرس الأدبي والتحقيق، مكتبة القانجي، القاهرة، ط 1، 1995، ص . 363 .

والمقصود من البيت أنه لم يسره شيء من كونه في الحياة حتى لو بان له شرف وانتشر بين الناس والحياة تغني له شيء حتى ولو كان له فيها شرف.

ولعلَّ هذا البيت الذي ورد في أسفل واجهة الكتاب يوحي بأنَّ هناك علاقة بين محمود شاكر وأبي علاء المعري وحسب المصادر نعم هناك علاقة بينها ولكن هي علاقة دِفاع لا هي علاقة تتلمذْ ولا هي علاقة تأثير وتأثر ويتجلى ذلك فيما نشره المستشار الثقافي للأهرام لويس عوض بأنَّ فكر أبي العلاء وفلسفته ليست أصلية عنده وإنَّما هي مأخوذة عن فكر أجنبي يوناني، وقد كتب معركة محمد شاكر مع لويس عوض ليست في أرائه القبيحة في شيخ المعري وحدها بل في جهود لويس عوض أنْ يُبدل كتابه العربية من فصاحتها إلى العامية [1].هذا فيها يخص الواجهة والعتبات النصية والرمزية الواردة في واجهة الكتاب.

أمَّا عن الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه هذا الكتاب والدواعي إلى تأليفه فيمكن تلخيصها فيما يلي:

أمّا عن الكتاب فيمكن إدراجه ضمن الدراسات النَّقدية وبعيد عن منهج التذوق الذي لم يُفارق محمود شاكر في مؤلَّفاتِه فإنَّ المتصفح للكتاب قضية الشِّعر الجاهلي في كتاب ابن سلام يجد فيه مزيج من المناهج منها التاريخي وتحليلي وتركيبي والوصفي.

ولعلَّ ما يُلفت النظر في هذا الكتاب منهج أخر غير المناهج التي ذكرناها وهو المنهج النَّقدي وقد تجلى ذلك عند محمود شاكر في تفنيده دعوى الجاحِظ في استظهار عمر الشِّعر الجاهلي كما أنَّه علق كثيرًا عن رسالة الطبقات وفقراتها بأسلوب نقدي محض وفند أيما تفنيد أطروحة طه حسين في شأن انتحال الشِّعر الجاهلي في أخر صفحات الكتاب ووفق هذه الأدلة والمعايير كان تصنيفنا لهذه الدراسة ضمن الدراسات النَّقدية أو بالأحرى يمكن تسميتها دراسة تحليلية تذوقية وصحة هذه التسمية من صحة منهج محمد شاكر في التذوق حيث اقترن عنده النَّقد بالتذوق.

[1]- ينظر: محمود شاكر، أباطيل وأسمار، مكتبة القانجي، القاهرة، مصر، ط.3، 2005، ص.107.

ومن الدواعي التي جعلت محمد شاكر الخوض في دراسة رسالة الطبقات هي أن هذه الرسالة طبقات فحول الشُّعراء قادت إلى الكثير من الشك في صحة الشِّعر الجاهلي الذي وصل إلينا وذلك لأنها لم تفهم على وجهها الصحيح، ولم تُقرأْ كما ينبغي لذا فقد كانت هذه الدراسة مزيلة للإبهام الذي اكتشف رسالة ابن سلام عن كثير من الغموض الذي أحاط بالشِّعر الجاهلي وروايته.[1]

أما عن القضايا التي أثارها شاكر غير أنَّ دراسته لرسالة الطبقات فرأى أن أكبر القضايا التي يسيلها أمر الشِّعر الجاهلي هي ثلاثة قضايا هي قضية عمر الشِّعر الجاهلي وقضية الشُّعراء الجاهلية المعروفين وما انتهى إلينا من إشعارهم والقضية الثالثة هي قضية وضع الشِّعر ونحله شُّعراء الجاهلية أهي صحيحة أم باطلة.[2]

وأشار إلى أنَّ هذه القضايا الثلاثة متداخلة متشابكة ومن صواب الرأي أن يحاول المرء أنْ يُوضِح مواضع الفصل بين كل قضية وقضية لأن هذا الفصل بين متداخلاتها يُضيء الطريق إلى الباحث ويعينه على تصور قضية الشِّعر الجاهلي كله تصور صحيحًا.[3]

كما أنَّ رسالة الطبقات نالت أكبر الحظ من الدراسات والبحوث فقد أولوها الكثير من النُّقاد والباحثين والدارسين الكثير من عنايتهم ومرد هذه العناية الكبيرة لكونها أول مؤلَّف في النَّقد العربي بالطريقة المنهجية المنظمة.

ومن أبرز الذين تناولوا كتاب طبقات فحول الشُّعراء طه أحمد إبراهيم في كتابه تاريخ النّقد الأدبي عند العربي من العصر الجاهلي على القرن الرابع الهجري حيث خصص لابن سلام الجمحي وكتابه طبقات الشُّعراء بابا كاملا وعدا كتاب الطبقات البادرة الأولى في التأليف النَّقدي ولذا يجعل له أهمية خاصة ويرى له فضلا في الرقي بمسيرة النَّقد لأنَّه أتى بجديد غير ما أتى به سابقوه ومعاصروه،

[1]- ينظر :كتاب قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، ص. 03.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص.10.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص.10.

ولأنه خاض في الأفكار التي خاض فيها عنيدة من اللغويين والرواة، بل لأنَّه من نظم البحث في هذه الأفكار وعرف كيف يعرضها ويُبرهن عليها ويستنبط منها حقائق أدبية في كتابة طبقات الشُّعراء[1].

ويحتفي طه أحمد إبراهيم لابن سلام لما صنعه من الفرق في التُراث النَّقدي لإقدامه على التدوين الذي حقق به حفظ المتداول من الأفكار النَّقدية حين أودعها كتابًا لعله بسط الاستدلال والنقاش والترجيح بين الآراء، ولذلك أفسح التدوين ميدان النَّقد[2].

وصرّح المؤلِّف أنَّ تاريخ التأليف ابن سلام كتابه مبهم لا ندري متى ألَّفه[3] بينهما محمود شاكر فأكبر الظن عنده أنه ألّفه في أخر حياته وهو في استظهاره تاريخ تأليف كتاب الطبقات أشار إلى أن ابن سلام ألف كتابه في العقد الأخير من عمره أي العشر الأعوام الأخيرة.[4]

ويذهب أحمد طه إبراهيم أن كتاب الطبقات في الأصل كتابان أحدهما في طبقات فحول الشُّعراء الجاهليين والأخر في فحول الشُّعراء الإسلاميين[5] ويستدل في ذلك بجملة من النقاط:

- اضطراب المقدمة وما فيها من الخلط يَشْعُرْ بأنَّها كانت مقدمتين أُدمجت إحداهما في الأخرى.

- في المقدمة نفسها ما يدل على أن ابن سلام ألف أولا طبقات الجاهليين.

- المقارنة بين طبيعة البحث في طبقات الجاهليين وطبقات الإسلاميين يؤكد الفارق بينهما حيثُ إن روح ابن سلام في الجاهليين قوية عميقة، منصرف أو تكاد إلى ما هو صميم النَّقد فأمَّا طبقاته في الإسلاميين فيكثر فيها التاريخ عند جماعة كجرير وفرزدق والأخطل وتقل فيها روح العلم واختلاف المنهج يعزز كونها ليست كتابًا واحدًا.

---

[1]- طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع هجري، مكتبة الصفاء، أبو ظبي، الإمارات، ط1، 1997، ص.76.

[2]- المصدر نفسه، ص.76.

[3]- المصدر نفسه، ص.74.

[4]- ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.ص.48-49.

[5]- طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص .82.

وذهب المؤلِّف مؤكدًا رأيه هذا أنَّه رأي صاحب الفهرست حيث يعد طبقات الشُّعراء لابن سلام كتابين لا كتاب واحد.[1]

وهذا الرأي يتفق مع رأي محمود شاكر الذي رأى بأن أصل الكتاب كتابان متفتحين كذلك في الحجج التي استدلوا بها في تثبيت فكرة أصل الكتاب كتابين.

ومن الدراسات أيضا التي تناولت في بحثها كتاب الطبقات وجهود ابن سلام في النَّقد المنهجي عند العرب للدكتور محمد مندور، وهذا الكتاب يبرز النَّقد المنهجي الذي يقوم على منهج تُدعمه أُسس نظرية أو تطبيقية عامة، ويتناول مدارس أدبية وشُّعراء وخصومات ويبسط عناصرها ويبصر بمواضع الجمال والقبح فيها ويخصص المؤلِّف الجزء الأول من الكتاب بالحديث عن تاريخ النَّقد من لدن ابن سلام إلى ابن الأشير.[2]

وكتاب دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث للدكتور بدوي طبانة ويأتي هذا الكتاب لاستيعاب صور النَّقد المختلفة ونظرياته الكثيرة يقدمها المؤلِّف مع دراسة الحياة المادية والعقلية في العصور المتتابعة بالإضافة إلى بيان للجهود المتصلة في خدمة الأدب العربي والفصل الرابع في هذا الكتاب يستفيد الباحث منه في أمور منها الكشف عن جهود ابن سلام في ميدان النَّقد مثلاً: تقسيم الشُّعراء إلى طبقات وتقريره بأن الشُّعراء ونقده صناعة وتقويم النتاج الأدبي على أساس الذوق والبحث عن الشعر الصحيح والشعر المصنوع.[3]

---

[1]- ينظر: طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص.83.

[2]- ينظر: محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، 1996م ص.08.

[3]- ينظر: بدوي طبانة، دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط.7، ص.18.

وأيضًا كتاب منهج التأليف عند العلماء العرب للدكتور مصطفى الشكعة، وفي هذا الكتاب يُقدم المؤلِّف مناهج التأليف عند العلماء العرب والمسلمين في نطاق الأدب، وفي الباب السابع يتحدث فيه عن كتاب الطبقات، وغير ذلك من الدراسات الأدبية والعلمية التي عُنيت بدراسة كتاب الطبقات فهي كثيرة لا يمكن حصرها هنا في هذا البحث المتواضع.[1]

ومع ذلك فإن كتاب محمد شاكر له أكبر الفضل من هذه الدراسات التي عُنيت بِرسالة الطبقات لأنَّها لم تتعمق في دراساتها لرسالة ابن سلام مثل ما فعله محمد شاكر الذي حاول الكشف عن الوجوه الملثمة التي أحاطت بها هذا من زاوية ومن زاوية أخرى أعاد النظر في فقراتها وسياقاتِها فأعاد ترتيبها من جديد ليذهب عنها الغموض حتى تُفهَم على حقيقتها.

وهذا ما جعل هذه الدراسة تتميز عن باقي الدراسات الأخرى فكانت لها قيمة علمية أدبية بارزة مقارنة بدراسات النَّقد العربي التي عُنيت بدراسة رسالة ابن سلام.

حيث استطاع محمود محمد شاكر أن يمزج بين المعلومات والإبداع معنى هذا أنَّهُ جمع الأفكار والمعلومات ووضحها بطريقة إبداعية وأسلوب يجذب القارِئ ناهيك عن مصادره المتنوعة التي استقى منها مادته من قرآن وحديث وكتب المتقدمين وحتى القصص والروايات.

أما من ناحية السلبيات والتي صادفناها إزاء قِراءَتنا لكتاب محمود محمد شاكر فإنَّه يكاد يخلو من الالتزام بالأمانة العلمية فهو عبد لصناعته يتغيّر من مادة الدراسة الصحيحة ما يريد ويُفرق ما كان حقه عند الدارسين أن يجتمع ويتنقل مع الخواطر من معنى إلى معنى ولا يكاد يرد إلى المراجع إلا ما لابد من رده.[2]

[1]- ينظر: مصطفى الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للكلاميين، بيروت، لبنان، ط .6، 1991، ص.8.

[2]- محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص..09

الفصل الأول

تلخيص كتاب

قضية الشِّعر الجاهلي

في كتاب لابن سلام

يبدأ محمد أبو فهر شاكر كتابه بمقدمة في مطلعها تمهيد يُصرح فيه ويُقدّم فيه اعتذار أنَّهُ ليس من سِمَته وليست منْ صناعته الارتجال والوقوف أمام جموع النّاس مُشافهةً بل أنَّ صناعة حمل القلم في خلوة بعيد عن النّاس وحسبه ما ورطه فيه صديقه أبو فهر عبد الله بن عبد المحسن التركي وألح عليه أنْ يُلقي هذه المحاضرة في الجامعة التي هي كتاب بين أيدينا بعنوان قضية الشِّعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي وبعد الانتهاء من عذره واستطراد طويل بدأ في الكشف عن منهجه في الدراسة الأدبية.

- الدراسة الأدبية والمنهج:

أمَّا بالنسبة للدراسة الأدبية فمحمد شاكر يُصرِّح أنَّهُ هناك اختلاف بين الدراسة الأدبية المحضة التي يتولاها الأساتذة الجامعيين في دروسهم وكتبهم وبين كتابة الكاتِب الذي يتناول نفس الدراسة الأدبية المحضة ولكنه يسوغها صياغة كاتب لا صياغة أستاذ دارس ويؤكد أنَّ صناعته هي الكتابة .[1]

أمَّا منهجه فذهب في شأن هذا إلى أنَّه يُريد ما قبل المنهج وهو يعني بهذا الأساس الذي لا يقوم المنهج إلا عليه، ويؤكّد أنَّه سماه سابقًا فيما كتب منهجًا وقسمه إلى شطرين:

القسم الأول: شطر المادة بعد جمعها وتصنيفها وتمحيص مفرداتها تمحيصًا دقيقًا بتحليل أجزائِها بدقة ومهارة ليتبين ما هو زيف جليًا وما هو صحيح ظاهر دون غفلة وتسرع.[2]

[1]- ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.07.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص.07.

أمّا الثاني شطر التطبيق هو إعادة تركيب المادة بعد نفي زيفها وتمحيصٍ جيدًا باستيعاب لكل احتمال للخطأ أو الهوى أو التسرع حتى يتسنى للدارس أنْ يضع كل حقيقة في موضعها وحتى لا يشوه عمود الصورة تشويهًا بالغ القبح والشناعة.[1]

ومن خلال هذين القسمين الذين أقرهما محمد شاكر فإنَّه يكشف عن شيء من منهجه الذي يقوم على التحليل وإعادة التركيب في قِراءة كُتب القدامى، فمنهجه بيِّن واضح هو المنهج الوصفي والتحليلي التركيبي فهو يحلل النصوص ويقوم بتمحيصها واستيعابها ثم يعيد تركيبها من جديد ليكشف ما يشوبها من زيف ويبِّين ما هو واضح وظاهر فيها.

وبعد الكشف عن منهجه في الدراسة الأدبية يشير أيضًا إلى الفرق بين ما يكتبه وبين ما يكتبه الأستاذ الدارس وهو أنَّ الأستاذ بأستاذيته يلزم نفسه بإثبات كل ما وقف عليه مردودًا إلى مرجعه، أما محمد شاكر إذ قال: «فأنا عبدٌ لصناعتي وهي الكتابة اختار من مادة الدراسة الصحيحة ما أريد وأفرق ما كان حقه عند الدارس أنْ يجتمع وأتنقل مع الخواطر من معنى إلى معنى ولا أكاد أردّ إلى المراجع إلا ما لابدّ من رده».[2]

وهذا الفرق ظاهر واضح في كتابه الذي بين أيدينا "قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي" فالكتاب يكاد يخلو من التهميش بيد أنَّ التهميش ضروري في الدراسات الأدبية وخصوصًا فيما يتعلق بالتأليف وذلك أنَّ التهميش يُساعِد القارِئ ويُسهل طريقه في العودة إلى المراجِع التي اعتمدها الكاتب ليتبين ما هو غامض مزيَّف وما هو صحيح بيِّن من المادة التي جمعها الكاتِب.

أمَّا غياب التهميش فيجعل القارِئ يقرأْ دون قناعة وتشبع ودون إصغاء وتتبع، أو كأنَّه يسير في طريق غيرَ هادٍ وإنْ صح التعبير طريق يسير عليها القارِئ أو الباحِث مؤداها إلى هاوية، وهنا يقع

[1]- ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.07.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص.08.

القارِئ في خيارين إمَّا أنْ يُكمل سيره فيكون مصيره إلى هاوية ظلماء لا نور فيها وإمَّا أنْ يعرج على حافة الطريق متوقفًا مُضطرِب النفس وهذا ما وقعنا فيه في دراستنا لهذا الكتاب" قضية الشِّعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي" وظني والله أعلم أن القارِئ الفطِن المتمرس لا يقع في هذين الخيارين بل يبحث عن طريق واضِح بيِّن هادٍ والطريق الهادِي هو أن يتصفح كتابًا أخرًا ممنهجًا على طريقة الدراسة الأدبية والممنهجة السليمة.

بدأ في أبرز القضايا التي يثيرها أمر "الشِّعر الجاهلي" وهي ثلاثة قضايا، الأولى" قضية عمر الشِّعر الجاهلي الذي وَقَعَ إلينا وهي قضية متفرغة عن أولية الشِّعر نفسهُ في لسان العرب".[1]
والقضية الثانية" قضية شُّعراء الجاهلية المعروفين وما انتهى إلينا من أشعارهم، ومقدار هذا الشِّعر".[2]
والقضية الثالثة "قضية وضع الشِّعر ونحله شعراء الجاهلية أهي صحيحة أمْ باطلة فإنْ صحَّت، فأين هذا المنحول فيما وصلنا عن العلماء الرواة من أشعارهم".[3]

– عمر الشعر الجاهلي ورأي الجاحظ فيه :

يرى محمود شاكر أنَّ جُل الباحثين وقَفُوا عند قول الجاحِظ أبي عثمان (150-255هـ) لثقتهم بعلمه، وذلك فيما قالهُ في كتاب الحيوان «وأمَّا الشِّعر فحديثُ الميلاد صغيرُ السن، أوَّل من نَهَجَ سبيلهُ وسهل الطريق إليه: امرئ القيس بن حجر ومهلهل ابن ربيعة... »[4] وهذا القول يدل على حداثة الشِّعر يقول امرئ القيس بن حجر:

إنَّ بَني عَوفَ اِبتَنوا حَسَب ضَيَّعَهُ الدُخلُلونَ إذ غَدَروا
أَدّوا إلى جارِهِم خَفارَتِهِ وَلَم يَضَع بِالمَغيبِ مَن نَصَروا

[1] – ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.10.
[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص.10.
[3] – ينظر: المصدر نفسه، ص.10.
[4] – ينظر: المصدر نفسه، ص 11.

لَم يَفعَلوا فِعلَ آلِ حَنظَلَةٍ إِنَّهُم جيرِ بِئسَ ما اِئتَمَروا

لا حِميَرِيٌّ وَفى وَلا عُدَسٌ وَلا اِستُ عيرٍ يَحُكُّها الثَفَرُ

لَكِن عُوَيرٌ وَفى بِذِمَّتِهِ لا عُوَرٌ شانُهُ وَلا قِصَرُ

فانظُر كم عمر زرارة ؟ وكم كان بين موت زرارة ومولد النبي صلى الله عليه وسلم؟ «فإذا استظهرنا الشِّعر، وجدنَا لهُ إلى أنْ جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام»[1] ومن هذه الأبيات التي استدل بها الجاحِظ يقولها امرؤ القيس في شأْن مقتل أبيه جحر لما قتله بنو أسد.

ويُوضِّح محمود شاكر "أسلوب الجاحِظ في استظهاره لعمر الشِّعر وأنَّ موت زُرارة بن عُدس قبيل مولد النبي صلى الله عليه وسلم فهذه نحو من خمس وأربعين سنة إلى أن بَعَث الله رسوله بالإسلام على رأس أربعين سنة من مولده وزرارة بن عدس قدْ رأَس وقَاد تميمًا نحوًا من أربعين سنة أو أكثر إلى أنْ مات، قبل يوم أوارة الثاني، فهذه نحو من تسعين سنة وأبوه " عدس بن زيد " قد ساء قبله، ورأس نحوا من أربعين سنة فهذه مئة وعشرون إلى مئة وخمسون سنة".[2]

بعد توضيحه لأسلوب الجاحِظ في استظهاره لعمر الشِّعر طرحَ العديد من التساؤلات وهي كالتالي "فإذا كان امرؤ القيس قد ذكر عدس بن زيد في شِّعره فهذا دليل على حداثة الشِّعر ولما كان ذلك؟ ولماذا لم ينظر أبو عثمان في شِّعر امرئ القيس نفسه كيف جاء موزونًا مُقفى على ضروب مختلفة من الأوزان والقوافي المعروفة عنده وكيف تسنى لمهلهل وابن أخته أنْ يستمِّد هذا القدر في البحور المختلفة والأوزان والقوافي ؟ وكيف يمكن أن يقع لهما هذا القدر من الابتداع جملةً على غير مثال سابق؟".[3]

[1]- ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.12.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص.13.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص.13.

ويرى البحث أنَّ لهذه التساؤلات هدف وحاجة في قلب محمود شاكر يُريد قضاءها ويظهر ذلك من خلال قوله: «والذي لا أشك فيه لطول معرفتي بأبي عثمان هو أنَّهُ فرِحٌ فرحًا شديدًا غامرًا بأسلوبه الحسابي في الاستدلال على ميلاد الشِّعر، فأغفلهُ الفرح الغامِر عن مذهبه في النظر والفحص والتساؤل وتقليب كل قضية على وجه بعد وجه مُعترضًا آخذًا تاركًا، دافعًا مُثبتًا، وهو مذهبه الذي بدأَ فيه كما هو معلوم مألوف في كُتبه ورسائِله، وفي احتجاجه لآرائه التي تولى نصرتها وأقواله التي استحدث بها منهجه في الاعتزال ».[1]

ومقصود هذا الكلام إمَّا يصب في الجانب العقلاني ذلك أنَّ الجاحِظ مُتأثِّر بمذهب الاعتزال الذي يقوم على العقل، وما كان يُريدُه محمود محمد شاكر أنَّ أسلوب الجاحِظ الحسابي في استظهار عمر الشِّعر أسلوب عقلي خالص لا يرقى إلى الدراسة الأدبية التاريخية الحقة.

إنَّ الأسلوب الحسابي الذي ارتآه الجاحِظ أنَّه يخدم أولية وعمر الشِّعر الجاهلي فإنَّه عند محمود محمد شاكر لا يُغني ولا يَنفع إلَّا في أمر واحد لا غير هو تحديد عمر ما بلغنا من شِّعر مهلهل وابن أخته امرئ القيس لا أكثر، ومن زاوية أخرى لا يرتقي إلى مستوى الاستظهار المقنع بدليل هاد وهو عنده خطأ فاحش وأنَّ قضية " الشِّعر حديث الميلاد، صغير السن "[2]، قضية باطلة لا برهان عليها .

ويُشير أيضًا إلى أنَّ استظهار الجاحِظ الذي استظهره هو أن امرؤ القيس وخاله المهلهل من أقدم شُعراء الجاهلية الذين انتهى إلينا شِّعرهم وأنَّ أكثر الذي انتهى إلينا من سائر قديم شُعراء الجاهلية لا يكادُ يتجاوز عمرهُ مائتي عام، ولا يمكن تعميم أسلوب الجاحِظ في استظهار عمر الشِّعر كل قديم الشِّعر.

[1]- محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.13.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص.14.

إلى هنا لم تنتهي رغبة محمود محمد شاكر في طرح التساؤلات حول استظهار الجاحِظ الفرِح بأسلوبه وفكرته، وذهب مذهب المتعجب في أمره، يا ترى منْ أين أتى بهذه الدعوى التي بنى عليها استظهاره أنَّ امرئ القيس هو أوّل من نَهَج سبيل الشِّعر وسهل طريقه؟، وراح يستقي مجموعة من الفرضيات منها أنَّ الجاحِظ أخذَها من الحديث الذي رواه الإمام أحمد ابن حنبل في مسنده (رقم: 7127) عن هشيم حدثنا أبو جهم عن الزهري أبي سلمة عن أبي هريرة قال: « قال رسول الله صل الله عليه وسلم: " امرؤ القيس صاحب لواء الشُّعراء إلى النار ».[1]

ومنها أنَّه أخذ عن البُخاري في الكنى قال: "قال مسدّد، حدثنا هشيم يكنى أبا جهم عن الزهري، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: « صاحب لواء الشُّعراء إلى النار امرؤ القيس لأنَّه أوّل من أحكم الشِّعر».[2]

وإذا كان الجاحِظ قد أخذَ هاتين الروايتين وما يشبههما في القول فإنَّ محمد شاكر يجزم بعدم صحتها، وإنَّها باطلة لا أساس لها من الصحة وإنهما حبرين واهيين، ولا حُجة لهما وأنَّهما من رواة مجاهيل كذبة معرقين في الكذب " فأبوا الجهم هذا قال فيه عدي شيخ مجهول لا يعرف له اسم وخبره منكر ولا أعرف له غيرها، وقد أفاض أخوه السيد أحمد محمد شاكر رحمه الله في شرح إسناد هذا الخبر وذكر علم الجرح والتعديل على أنَّ أبا الجهم معروف برواية هذا الخبر وأنَّه واهِن ضعيف جدًا".[3]

إذًا ظنَّ محمد شاكر أنَّ الجاحِظ أخذ من هذين الخبرين دافعة تشابه العبارتين « أن امرؤ القيس هو أول من أحكم الشِّعر فقال هو أول من نهج سبيل الشِّعر وسهل الطريق إليه ».[4] والتشابه بين سياق القولين ظاهر بّين.

[1]- محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.15.

[2]- المصدر نفسه، ص.15.

[3]- - ينظر: المصدر نفسه، ص.15.

[4]- المصدر نفسه، ص.15.

لم يقنع محمد شاكر أنَّ فكرة الجاحِظ في إعطاء أولية الشِّعر لأمرئ القيس مُشتقة من هاذين الخبرين اللذين وصفهما بالهالكين الواهيين، ومع مرور الأيام بدأت وجهة نظره تتغيَّر "أيكون أبو عثمان وحده هو الذي نظر في "قضية الشِّعر " وأوليته وقدمه؟ لا بل نظر فيه رجل من معاصريه هو أقوم منه على الشِّعر الجاهلي خاصة وهو أشدُّ تحقق بدراسته وأبلغ منه نفاذًا وتثبتًا في روايته وفحصه وهذا الرجل هو أبو عبد الله محمد ابن سلام الجمحي صاحِب كِتاب طبقات فحول الشُّعراء المولود في سنة 231/139هـ كما ترى فهو معاصر لأبي عثمان الجاحِظ 255/150هـ".[1]

يرى محمد شاكر أنَّ الجاحِظ ألَّف كتابه الحيوان في أواخِر حياته، وأنَّه نَقَلَ العديد من الأفكار والأخبار عن ابن سلام في كِتابه طبقات فحول الشُّعراء.

وللجاحِظ كتاب " **البرصان والعرجان** " يدل دلالة قاطعة على أنَّه نقل عن ابن سلام قال "في تقديمة الباب وسنذكر شأن العرجان وأسمائِهم وأنسابِهم وصفاتِهم وأقدارِهم بمثل ذلك من الأشعار الصحيحة والأسانيد المرضية، وقد وفى بشأن من ذكرهم إلا رجلًا واحدًا لم يذكر عنه خبرًا ولا صفة ولا بيانًا من بين جميع من عددهم وحلاهم من العرجان....ومن العرجان أبانَ ابن عثمان البجلي الأعرج وكان صاحِب أخبار، وقد أكثر عنه ابن سلام الجمحي ولم يجد على ذلك شيئًا من خبر أو غيره، والذي ذكره من إكثار محمد ابن سلام عنه في الرواية بيِّن في كِتاب طبقات ابن سلام يرجع أنَّه أعرج من كِتاب ابن سلام، فضمَّه إلى عرجانه لأن ابن سلام وصفهُ بالأعرج في موضعيين من كِتاب الطبقات".[2]

وهذا رأي محمد شاكر الذي أكَّد أنَّه اشتغل كثيرًا في كتاب ابن سلام "طبقات فحول الشُّعراء "شرحًا وتحريرًا فكان خليقًا أنْ يقف، حيثُ كان رأيه في دعوى أبي عثمان الذي لم يسلم من صغيرة ولا كبيرة، فبعد الخبرين الواهيين اللذين ذكرهما محمد شاكر، أنَّ الجاحِظ قد استقى منهما فكرة أولية الشِّعر لامرئ القيس، فإنَّ شاكر يسوقنا إلى فرضية أخرى، أنَّ أبي عثمان اطلع على كِتاب ابن سلام

[1]- ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.18.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص.18.

ونقل عنهُ فكرة " أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل ابن ربيعة التغلبي، ثم كان امرؤ القيس ابن حجر بعد المهلهل والمهلهل خاله... وأنَّ امرؤ القيس سبق العرب إلى أشياء ابتدعه"[1].

فلما قرأها أبي عثمان الجاحظ أعجبته وهزته فاجتهد فصاغ قضية أولى: أول من نهج سبيل الشِّعر وسهل الطريق إليه امرؤ القيس والمهلهل ابن ربيعة وأعجبه ما صاغ إعجابًا مُفرطًا.

والظاهر في رأي محمد شاكر أنَّ أبي عثمان أعجب إعجابًا مُفرطًا بما صاغه وأنَّه ابتدع ما لم يسبقه أحد ولم يبالي بهذا الفرق الظاهر بين قوله وهو: " أول من نهج سبيل الشعر " وقول ابن سلام "أول من قصد قصائد " وقول الخبر الهالك " أول من أحكم الشِّعر "، " فإنَّ ألفاظ الخبرين جميعًا لا تتناول الحكم على أولية الشِّعر نفسه بل هي مقصورة على أولية تقصيد القصائد وذكر الوقائِع ".[2]

فالجاحِظ عند محمد شاكر زاغ زيغة منكرة مفرطة الغرابة حينما أعاد صياغة القضية صياغة جديدة يُلقيها مسلمة لا تحتاج إلى برهان فقال:" أما الشعر فحديث الميلاد صغير السن أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس ومهلهل ابن ربيعة "، وصدر هذه القضية مشتق من قول ابن سلام " وإنما قصدت القصائد وطول الشِّعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف ... لقرب عهدهما من مولد الرسول صل الله عليه وسلم"[3].

ويقف محمد شاكر خاتمًا دعواه في رأيه حول دعوى الجاحِظ مؤقِف المتعجب، لمن يعتمد قوله في أولية الشِّعر وعمره وحداثة ميلاده وصغر سنه، وأنَّ ما أفاد به الجاحِظ في طرحه وهو حقيق، ولم يختلف عليه أحد، "هو أنَّ مِنْ أقدم ما وصلنا من شِّعر الجاهلية شِّعر المهلهل وامرؤ القيس وأقرانهِما، وأنَّ الذي بين الرجلين الشَّاعرين وأقرانهما وبين مجيء الله بالإسلام يتراوح ما بين مئة سنة وخمسين سنة على مائتين، هنا ما يمكن التسليم بصحته لا أكثر ولا أقل".[4]

---

[1]- ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.21.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص.19.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص.19.

[4]- ينظر: المصدر نفسه، ص.20.

وهذا رأي محمد شاكر في دعوى أبي عثمان الجاحِظ في قضية أولية الشِّعر وأقدم الشُّعراء والتي وصفها، بأنَّها دعوى باطلة لا أساس لها من الصحة، ولا يُمكن التسليم بها، وهذه بدعوى منهجه الذي أقره واعتمده في قراءة كتب القدامى.

– رسالة ابن سلام " طبقات فحول الشُّعراء" ورأي محمد شاكر فيها:

بعد انتهاء محمد شاكر من رأي الجاحِظ في قضية أولية الشِّعر وأقدم الشُّعراء بالتعقيب والشرح والتحليل والنَّقد وتبيين الغموض فيها، انتهى إلى أنَّها دعوة باطلة لا يُمكن التسليم بها، انتقل إلى رسالة ابن سلام وطبقات فحول الشُّعراء محللًا وشارحًا لبعض الفقرات التي استوقفته مبينًا رأيه فيها، مبررًا منهجه الذي اعتمده في قراءة كتب القدامى، "حيث أنَّه يقف محللًا مترددًا بين الخطأ والصواب، ومبدأ الشك واليقين متذوقًا معاني الألفاظ والعبارات التي يستعملها القدامى، منتقلًا بين الجمل من موقف إلى موقف المتناقض، مُعيدًا النظر في الأسطر والفقرات، مرة بعد مرة، حتى يطمئن قلبه إلى الموقف الأول في الثقة وهكذا دواليك، وهذا منهجه الذي أقره في كِتابه".[1]

إنَّ عنوان رسالة كتاب " **طبقات فحول الشعراء** "ولم يسلم عند محمد شاكر من الشك والتحليل، فقد ذهب إلى أنَّ لفظة طبقات استعملها ابن سلام جمعًا من مفردها طبقة وجعلها عنوانًا لكتابه، وهذا اللفظ مألوف معروف، وأشار إلى استعماله من قبل بعض العلماء والأدباء في كتبهم، منها " **طبقات** الفقهاء "و" **طبقات الأدباء** " و"**طبقات الأمم** " وغيرها من الكتب التي تحمل اسم الطبقة والطبقات على ما ألفوه، فقالوا بتفضيل طبقة على طبقة أي طبقة الجاهلية على الطبقة الثانية، منهم ورأى" أن هذا المعنى لا يريده ابن سلام وليس في كتابه شيء يدل عليه، بل أنه لا يريد هذا التفضيل البتة "[2]، وذَهَب إلى أنَّ ما يريده ابن سلام من لفظة طبقات قد بينه في مقدمة الطبقة الثانية من نسخته من طبقات فحول الشُّعراء.

[1]– ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.22.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ص.23.

– رسالة الطبقات وسياقاتها:

قسم محمد شاكر رسالة الطبقات لابن سلام إلى ثلاثة سياقات، وأعاد ترتيبها، "فالسياق الأول كما ورد عند ابن سلام، الفقرة الثانية التي بيَّن فيها منهجه ثم قطع الحديث ولم يواصل الحديث عنه، إلاَّ في الفقرة الحادية والثلاثين متممًا ما بدأ به، ثم استطرد بعد ذلك في حديث متصل من الشِّعر منذ انتهى من هذه الفقرة الحادية والثلاثين، ثم عاد في الفقرة الخامسة والخمسين متممًا عرض كِتابه."[1]

ويأتي السياق الثاني "يبدأ من الفقرة الثالثة وينتهي عند آخر الفقرة الثالثة عشرة، وأمَّا السياق الثالث يذكر فيه علماء العربية من الفقرة الرابعة عشرة إلى أنْ ينتهي بالفقرة الثلاثين".[2]

أمَّا محمد شاكر فيُعيد ترتيبها، "فالسياق الأول عنده الفقرة الأولى والثانية، ثم الفقرة الحادية والثلاثين إلى الفقرة الخامسة والخمسين، والسياق الثاني من الفقرة الثالثة إلى الفقرة الثالثة عشرة، والسياق الثالث من الفقرة الرابعة عشرة إلى الفقرة الثلاثين، كما أنَّه يرى أنَّ ترتيب هذه السياقات ضروري لمن يُريد فهم ما يُريد ابن سلام".[3]

– الوجوه الخمسة الملثمة في رسالة الطبقات:

بعد أنْ عرضَ لنا محمد شاكر سِياقات رسالة الطبقات وأعاد ترتيبها، ها هو الآن يكشف جانبًا آخر مُهم جدًا، وهو استخراج خمسة وجوه ملثمة في رسالة ابن سلام من خلال فقراتها.

فالوجه الأول " قوم تداولوا شِّعرًا من كتاب على كتاب، ولا ندري مَنْ مِنَ النَّاس يعني ابن سلام.

[1]– ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.25.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ص.25.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، ص.26.

والوجه الثاني وصف هؤلاء القوم بأنَّهم " لم يأخذوا هذا الشِّعر عن أهل البادية ولم يعرضوه عن العلماء"، إذًا منْ هُم أهل البادية ومنِ هُم العلماء الذين يقصدهم ابن سلام".[1]

والوجه الثالث ذكر قومًا آخرين سماهُم " أهل العلم والرواية الصحيحة "، لهم وحدهم حق إبطال بعض هذا الشِّعر، ولم يُبيِّن منْ هُم أهل العلم وماذا يريد بالرواية الصحيحة.

والوجه الرابع ذكر صحيفةً نهى عن قبول الشِّعر عنها، وذكر صحفيًا نهى كل أحد يروي عنه هذا الشِّعر، فماذا يريد بالصحيفة، ومن يكون هذا " الصحفي "[2].

الوجه الخامس: "هو وجه الشِّعر الذي يراه محمد شاكر أخفاهن صورة، وأعسرهن على التوسم."[3]

يقف محمد شاكر أمام فقرة من فقرات رسالة ابن سلام، موقف الحائِر، المتسائِل المتعجب، محللًا، شارحًا، ما تحويه هذه الفقرة، وهي الفقرة نفسها، التي تحمل الأوجه الملثمة ونص هذه الفقرة، كما وردت عند ابن سلام، «وفي الشِّعر مصنوع، مفتعل، موضوع، كثيرٌ لا خير فيه، ولا حجة في عربية، ولا أدب يُستفاد، ولا معنى يُستخرج، ولا مثل يُضرب، ولا فخر معجب، ولا نسيب مستطرف، وقدْ تداوله قوم من كُتاب إلى كُتاب، لم يأخذوه عن أهل البادية، ولم يعرضوه على العلماء، وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم وللرواية الصحيحة، على إبطال شيء منه، أنْ يُقبل من صحيفة أو يروى، عن صُحفي، وقد اختلف العلماء بعدٌ في بعض الشِّعر، كما اختلف في سائِر الأشياء، فأمَّا ما اتفقوا عليه، فليس لأحد أن يخرج منه»[4].

وإذا كان البحث يرى أنَّ هذه الفقرة لم تخرج عن المألوف، فإنَّ محمد شاكر يرى العكس، بل وأكثر من ذلك، ويكتب صفحات متتالية حول هذه الفقرة شارحًا ومحللًا.

---

[1]- ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.30.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص.30.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص.30.

[4]– المصدر نفسه، ص.30.

يرى محمد شاكر أنَّ أيسر النظر والتأمل في الفقرة التي ذكرناها آلفًا، يدل على أنَّ في أيدينا قسمة واضحة، تجعل الشِّعر قسمين، أحدهما الشِّعر المصنوع المفتعل، والأخر شِّعر غير مصنوع، وذهب إلى أنَّ ظاهر السياق يُوهم، وأنَّ الأمر غير مستقيم، "لأنَّه إذا كان جوهر للحديث كله عن الشِّعر المصنوع وحده، فعرضه على العلماء وترك عرضه عليهم سواء، لأنَّ الحديث هنا عن الشعر المصنوع، وأنَّ إجماع أهل العلم والرواية الصحيحة، على إبطال بعض من المصنوع دون بعض، وهو في سياق الفقرة كما يرى محمد شاكر كله مصنوع، وإذا أجمعوا على إبطال بعض المصنوع، فما حكم هذا الباقي، وهو مصنوع أيضًا"[1].

يؤكِّد محمد شاكر على أن هذا الكلام غير مستقيم، وذهب يصحح ما وقع فيه ابن سلام من الخطأ في بعض العبارات، فجعل النهي مكان العطف في العبارة « وليس لأحد أن يقبل من صحيفة أو يروى عن صحفي »[2]، فأصبحت عنده غير معطوفة عن ما قبلها وتكون نهي عن قبول هذا المصنوع وروايته فجعل حق تركيبها «وليس لأحد أن يقبل من صحيفة ولا يُروى عن صحفي »[3]، وبذلك يرى محمد شاكر أنَّه أسقط الشرط المعترض الذي أحال معناها وجعلها من تمام الحديث المصنوع معطوفة عليه، وبذلك يستقيم الكلام على بعض الخلل.

وبعد تعقيبٍ طويل، خلص محمد شاكر إلى أن الفقرة جلها حديث عن الشعر المصنوع بلا منازع، من زاوية نظره، بعد التحليل والشرح مبرزًا مبرهنًا رأيهُ، وذلك أنَّ كل الضمائر في الفقرة تعود على الشعر المصنوع، (ففي "**مصنوع مفتعل لا خير فيه**"، فالهاء ضمير للشعر المصنوع " **وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب**"، فالهاء في تداوله عن الشعر المصنوع، "**ولم يأخذوه عن أهل البادية ولم**

[1]- ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.31.

[2]- المصدر نفسه، ص.32.

[3]- المصدر نفسه، ص.32.

يعرضوه على العلماء "، ففي يأخذوه الهاء تعود على الشعر المصنوع أيضا وفي يعرضوه كذلك الهاء تعود على الشعر المصنوع).[1]

ووجه التناقض في الفقرة ظاهرٌ بيِّن واضِح كما أشار إليه الكتاب، وذلك في العبارة التي تلي هذا الكلام الذي يحمل ضمائر الشِّعر المصنوع وحده، وهي العبارة (" **وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صحيفة أو يروى عن صحفي** "، فيا ترى ضمير الهاء في "**في شيء منه** " على من تعود).[2] والحق أن البحث يرى أنها تعود على المصنوع، إذًا فهل العلماء يجتمعوا أنْ يبطلوا المصنوع من الشعر، والحديث في سياق الفقرة، هو في ذاته عن المصنوع، فهل يبطلون بعض الشعر المصنوع من الشعر المصنوع.

وخلاصة القول أنَّ وجهة نظر البحث تغيرت، فإذا كان في بداية المطاف، يرى أنَّ الفقرة على وجه مألوف لا تشوبها شائبة، فبعد تتبع تحليل وشروحات محمد شاكر أصبح العكس صحيحا، وصار الشك يقينًا، الآن حصحص الحق وزهق الباطل، ففي الفقرة كلام لا يستقيم وكلام يعادي بعضه بعضا، وهذه رؤيا البحث بعد تتبع وتفتيش ما ساقه محمد شاكر في شأن هذه الفقرة.

– ترجمة محمد لابن سلام :

بعد كشف محمد شاكر عن الوجوه الملثمة في كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام، ها هو الآن يتعرض لأحد المواضيع المهمة وهو موضوع ترجمة ابن سلام .

في بداية الموضوع ألقى لمحة حول ابن سلام « ولد أبو عبد الله ابن سلام الجمحي بالبصرة سنة139هـ، وقضى بها أكثر عمره، ثم بدا له فانتقل إلى بغداد سنة 222هـ، وهو في الثانية والثمانين من عمره، حتى توفي في سنة 231هـ، وقد بلغ الثانية والتسعين، وقد بلغ ابن سلام مرتبة الإمام في

[1]– محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.34.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ص.35.

علم الشعر والأخبار، حتى قال الرياشي عنه " أحاديث محمد ابن سلام عندنا، يعني عند أهل العلم والرواية الصحيحة"، مثل حديث أيوب عن محمد عن أبي هريرة رضي الله عنه فيعني حديث أيوب ابن أبي تميمة السنجستاني عن محمد ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه في الصحة والسلامة والقوة ».[1]

أما عن ترجمة ابن سلام في كتب تراجم الرجال والعلماء والأدباء، (فمحمد شاكر يرى أنها موجزة مختصرة، ثم ذهب مستظهرًا أنَّ كتب ابن سلام، لم يذع أمرها في حياة ابن سلام ككتاب الطبقات، وكتاب الفرسان وكتاب بيوتات العرب، وأنَّ كتاب الطبقات كان عند أهل ابن سلام في بغداد عند وفاته 231هـ، إلى أن آلت إلى ابن أخته أبي الخليفة الفضل بن الحباب الجمحي، فنقلها لا إلى البصرة بعد زمان من وفاة خاله، وقرأها على الناس).[2]

ويؤكد محمود محمد شاكر ذلك بدليل وجود نسختين عتيقتين من كتاب الطبقات، أقدمهن نسخته التي نشرها والأخرى نسخة المدينة المشرفة، موضحًا هذه الأخيرة على النصف من نسخته، لان صاحبها اختصرها اختصارًا شديدًا .[3]

– أسانيد الطبقات وقيمتها :

بعد الترجمة الموجزة لابن سلام ذهب محمد شاكر لعرض أسانيد كتاب الطبقات وقيمتها.

" فالإسناد الأول: رواية أبي عبد الله محمد ابن احمد ابن أسيد الأصفهاني المتوفى سنة336هـ، الذي سمعها عن القاضي أبي خليفة الجمحي ولي قضاء البصرة 293هـ .

الإسناد الثاني : رواية أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (260 – 360 هـ)، عن القاضي أبي خليفة أيضًا، ويشير محمد شاكر إلى أن الطبراني نزل أصفهان وعاش فيها ستين سنة توفي 300 هـ، قد قرأها على القاضي أبي خليفة ما بين 293 هـ و300 هـ.

[1]– محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.44.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ص.45.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، ص.46.

والإسناد الثالث : رواية أبي الظاهر (279 – 367 هـ) محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بجير الذُّهلي القاضي، عن أبي خليفة وأبو الطاهر ولي قضاء بغداد سنة 329 هـ، ويرى محمد شاكر أنَّ الظاهر من تأثر ميلاده إلى سنة 279 هـ، يدل على أنَّه قرأ على أبي خليفة هو أيضًا قبل سنة 300هـ.

والظاهر من الأسانيد التي ذكرها محمد شاكر أن رواية رسالة الطبقات كانت عن طريق أبي خليفة ابن أخت ابن سلام، قرأها على الناس مابين 295 وسنة 300 هـ، وهذا ما أشار إليه محمد شاكر في استظهاره الأسانيد الطبقات".[1]

– تاريخ تأليف ابن سلام :

لم ولن يتوقف محمد شاكر عنْ الاستظهار، فبعد الانتهاء من دعوته في استظهار أسانيد الطبقات، ذهب إلى استظهار تاريخ تأليف ابن سلام كُتبه ؟.

يرى محمد شاكر على يقين كما صرحهُ، أنَّ ابن سلام لم يؤلِّف كتبه في صدر حياته، ولا في أوسطها، وحجته في ذلك، ما ورد عند الخطيب البغدادي عن حسن بن فهم أنَّ ابن سلام اعتل علة شديدة في الثانية والثمانين من عمره، فأهدى الخُلفاء أجلاء أطبائهم، وذلك لرفعته وبلوغه إمامة في العلم، فقدم إليه ماسويه الذي كان يومئذٍ طبيب المعتصم، فلما جسّهُ ونظر إليه قال: « ما أرى من العلة كما أرى من الجزع، فقال ابن سلام : والله ما ذاك لحرص على الدنيا مع اثنين وثمانين سنة، ولكن الإنسان في غفلة، حتى يوقظ بعلة، ولو وقفت بعرفات وقفة وزرت قبر الرسول الله زورةً، وقضيتُ أشياء في نفسي، لرأيت ما اشتدَّ عليّ من هذا قد سهل، فقال له ابن ماسويه : فلا تجزع فقدْ رأيت في عرقك من الحرارة الغزيرة وقوتها ما إنْ سلمك الله من العوارِض، بلغك عشر سنين

[1]– ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.46.

أُخرى، قال الحسين بن فهم : فوافق كلامه قدرًا، فعاش محمد ابن سلام عشر سنين بعد ذلك ومات سنة 232 هـ ».[1]

فمن خلال هذه القصة، ومن خلال كلام ابن سلام فيها، كان استظهار محمد شاكر بيقين رأيه أن ابن سلام ألف كتبه في آخر حياته، وكما يبدو لشاكر، أن جزع ابن سلام راجع لعدم تقييد ما يحمله من علم في كتب تخلد بعده، بتداولها النّاس جيل بعد جيل، وأكبر ظنه أنَّ ابن سلام شرع في التأليف بعدما شفي من عليلته في العشر الأخيرة من عمره، فبدأ بكتاب الطبقات، ثم كتاب شُعراء الفرسان، ثم كتاب سادات العرب وأشرافِها، وما قالوا من شعر، ثم كتاب أيام العرب، وأن هذه الكتب بقيت عند أهله ببغداد، وبعد أن رحلوا إلى البصرة صارت بحوزة ابن الخليفة قاضي البصرة.[2]

– أثر تأخر سنه تأليف الطبقات :

وإلى هنا لم تتوقف دراسة محمد شاكر لرسالة الطبقات، والتي انصرف بها إلى اللّف والدوران حول ابن سلام نفسهُ، وذلك بالتركيز على تأخر سنه، ومدى تأثير هذا التأخر، على تأليف الطبقات.

ذهب محمد شاكر إلى أنَّ الخلل والاضطراب في فقرات رسالة الطبقات، سببه تأخر السن وبلوغ الشيخوخة، التي غالبا ما يصاحبها النسيان والمرض وكثرة الهفوات، موضحًا ذلك أنَّ ابن سلام، كانت له رغبة في تأليف كتاب عن الشِّعر والشُّعراء، فكان في عجالة من أمره أن يفعل ذلك قبل أنْ يخطفَه الموت، وهو لم يترك شيء بعدهُ، ومثال ذلك أن ابن سلام في رسالة كتابه قال: « فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرًا، فألَّفنا من تشابه شعره، منهم إلى نظرائه فوجدنا عشر طبقات، أربعة رِهطٍ كل طبقة متكافئين معتدلين، يعني عشر طبقات من أهل الجاهلية وعشر طبقات

[1]– محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص. 48.

[2]– المصدر نفسه، ص.49.

من أهل الإسلام، فهؤلاء ثمانون شاعرًا .هذا ما قصده ابن سلام حين بدأ كتابه، ولكنه لم يكد يفرغ من أمر شُّعراء الجاهلية، حتى بدا له أن يقحم بين الأربعين من شُّعراء الجاهلية، والأربعين من شُّعراء الإسلام، طبقات أخرى لم يذكرها في عرض كتابه، كما حدده حين بدأ تأليف كتابه، فقال في آخر طبقات الجاهلية انقضى خبر الطبقات العشر».[1]

يرى محمد شاكر أنَّ في هذا الاستطراد المقحم على نهج الكتاب، إخلال شديد، بطريقته التي سار عليها، في ذكر طبقات شُّعراء الجاهلية الأربعين، وطبقات شُّعراء الإسلام الأربعين.

وما يدل على أنَّ ابن سلام كان ينسى، وأنَّ المرض كان يقطع عليه ما يكتب، أنه في هذا الجزء الذي أقحمه، لم يقتصر على تغيير منهجه في ذكر أربعة شعراء في كل طبقة، فزاد العدد أو نقصه، بالإضافة إلى أنَّه كان ملتزمًا بأنْ يذكر في أوّل كل طبقة أسماء شُّعراء هذه الطبقة، لكن محمد شاكر يرى أنّه لم يفعل.[2]

وأضاف محمد شاكر أنَّ الخلل الظاهر في رسالة الطبقات نتيجة لكتابتها مرتين، موضحًا ذلك أنَّ ابن سلام بعد أن فرغ من النسخة الأولى من كتابه، والتي كانت مقصورة على ما نهجه في رسالة كتابه، من ذكر طبقات عشر لفحول الجاهلية، وطبقات عشر لفحول الإسلام، فلما عاد إلى كتابة الكتاب، على الوجه الذي بينه، أقحم هؤلاء الشُّعراء إقحامًا في النسخة الأخيرة، وهي التي في أيدينا اليوم، ونسي أنْ يغير ما كتبه في رسالة كتابه، بعد أنَّ سن وقارب التسعين.[3]

[1]- محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، مطبعة المدني، ص.ص51-52.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص53.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص.ص.54-55.

– عصر ابن سلام:

وبعد جهد وعناء طويلين يستريح محمد شاكر بين الفقرات والسطور، يلقي فيها لمحة عن عصر ابن سلام، الذي ينظر له بوصفه عصر زاخر، يعب عبابه في كل أرجاء الأرض، من أقصى الأندلس والمغرب إلى الصين، وأنَّه أروع عصر في تاريخ حضارات هذا العالم.[1]

– التذوق أساس الحضارة وأمثلته:

ويستريح محمد شاكر مرة أخرى، فيثير موضوعًا آخرًا، هو التذوق، فالتذوق أساس الحضارة، وهو قوام الآداب والفنون، وقوام لكل علم وصناعة، ولمحمد شاكر في ذلك دليل، أنَّ حضارتنا العربية أصلها قائم على التذوق في الجاهلية الغابرة، وفي الإسلام، وقد بلغ التذوق بها مبلغ سنين طويلة، وحين بدأ تشته وتبعثره، بدأ معهما التدهور والإدبار، وله في ذلك رأي أنَّه من واجبنا، أن نعيد بناء أنفسنا على ما بُنيت عليه حضارتنا، من دقة التذوق، وأن يكون التذوق أساس علمنا الأدبي في آثار أسلافنا.[2]

ولقد توسع محمد شاكر في إثارة هذا الموضوع إلى حد ما، وظن البحث أنَّ من وراء ذلك هدف وحاجة في نفس الكاتب، يريد توضيحِها، ويا ليتَ ظن البحث لم يخيب وينكشف الغطاء في صفحاته القادمة.

[1]– ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.56.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ص.58.

– عودة إلى محمد ابن سلام والدعي إلى تأليف كتابه:

ومن موضوع إلى موضوع، وبعد الوقفة التي وصفها البحث قبل قليل وقفة استراحة بين الفقرات والسطور، التي خرج فيها شاكر عن موضوع دراسة رسالة الطبقات، في ما أثاره عن عصر ابن سلام، وعن التذوق الذي وصفه بأنَّه أساس الحضارة، وقوام الآداب والفنون، وقوام لكل علم وصناعة، وأنَّه مذهبه القائم عليه في دراسة الأدب، يعود شاكر إلى محمد ابن سلام والداعي إلى تأليف كتابه .

يرى محمد شاكر أن الداعي لتأليف كتاب الطبقات، هو تأثر ابن سلام بجبال العلم الشوامخ، الذين سبقوه بالدرس والتأليف، أمثال الخليل الذي برع في علم العروض، وتلميذه سيبويه، الذي برع في علم النحو، إضافة إلى ما كان يحضره ابن سلام من المجالس العلمية كمجالس أبي عمر ابن العلاء، ويونس ابن الحبيب، والأصمعي، وأبي عبيدة، والأخفش فنازعته نفسهُ، منذ ذلك الوقت، أن يفعل في شأن الأدب والشعر، وأخبار العرب، ما فعل هؤلاء بعلم العروض، وعلم النغم، وعلم النحو والعربية، وكان آنذاك بعد هجرته من البصرة إلى بغداد، وفي نفسه ذلك الأمل الذي لم يحققه بعد .[1]

ومن الدواعي أيضًا هو ما لقيه من حفاوة من العلماء، والأشراف وطلبة العلم، بعد دخوله بغداد سنة 222 هـ، الذين كانوا ينظرون لهم بوصفه، الإمام المشهور في الأدب واللغة والعربية والشِّعر، أنَّه من بقية الماضين من جبال العلم الشوامخ، وهذا حافز أعاد لابن سلام ما كان يجيش قديما في صدره من تأسيس علم الأدب وعلم الشعر، وعلم أخبار العرب بكتب يِؤلفها، ولكن لم يكد يفعل حتى مرض، وبعد أن شفي بدأ في وضع منهج كتابه " طبقات فحول الشعراء "، كما فعل سابقوه أمثال الأخفش وسيبويه، إلى أنْ فوجئ برجل كان واحد الدنيا، كما وصفه شاكر، وهذا الرجل هو يحي ابن معين.[2]

[1]– ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.ص.65-66.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ص..67

– لقاء ابن سلام ويحي ابن معين:

– ترجمة يحي ابن معين:

كان يحي ابن معين فتى من أبناء الأغنياء، وكان أبوه معين ابن عون على فراج الري، وهي قصبة الجبال، ومن أمهات البلاد وأعلام المدن يومئذ، ولما مات أبوه خلّف له ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم، فأنفق ذلك كله على طلب حديث رسول الله صل الله عليه وسلم، حتى لم يبقى له نعل يلبسه، ولكن صار واحد الدنيا في علم الحديث، وآلت إليه إمامة علم الرجال، والجرح والتعديل، وقد فتح أنداك فتحا كبيرا في علمين جليلين، علم الأحاديث، وما يكون فيها من الخطأ، وما يكشف عن وضع الوضاعين، الذين كذبوا على رسول الله صل الله عليه وسلم، وعلم الرجال والجرح والتعديل، وتفي ابن معين، فترك مئة قمطر وأربعة عشرة قمطرا، وأربعة حُباب كبار مملوءة كتبًا، وهذه ترجمة محمد شاكر ليحي ابن معين .[1]

أما عن لقاء ابن سلام ويحي ابن معين فكان لقائهما في بغداد، عندما قدم ابن سلام إلى بغداد، وهو في الثانية والثمانين من عمره، وكان يحي ابن معين قد بلغ الخامسة والستون من عمره، ففاوضه العلم ورأى منه ما كان يرى منه الناس، حيث ذاع صيت ابن معين آنذاك في علم الحديث، فسمع منه ابن سلام تخليص حديث رسول الله صل الله عليه وسلم، من كل ما يشوب متونه وأسانيده، ينفي عنه تحريف الغاليين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ويرى محمد شاكر أنَّ ما سمعه ابن سلام عن يحي ابن معين قد أثاره إلى أن يؤسس هو أيضا أساسا لمثل علم يحي ابن معين في ناقلة الآداب والأخبار والشعر لينفي هو أيضا عن الشعر خبث ناقلته ورواته، وخبث الموضوع على ألسنة شُعراء الجاهلية على الوجه الذي ذكَّره به يحي ابن معين في تأسيس علوم الحديث .[2]

[1]– ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.69.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ص.70.

وهذا رأي محمد شاكر في لقاء ابن سلام بيحي ابن معين، وأنَّه سار على خطاه في تأسيس علوم الحديث، فقابله بتأليف كتاب الطبقات .

أمَّا البحث في هذا الرأي عنده ضعيف، لأنَّه من خلال تتبع كلام محمد شاكر لوحظ أنه مبني على الظن والتوهم والشك، لا على الحجة والبرهان، ومما يدل على ذلك أمثلة كثيرة، فمنها قوله: « وإنْ كان ليس في أيدينا الآن في ما بلغه عجز أخبار تدل على ما كان يجري بينهما »[1] أي بين ابن سلام ويحي ابن معين، وقوله :« والذي لا أكاد أشك فيه أيضا أن ابن سلام قبل نزوله بغداد، وهو بالبصرة، كان قد سمع أخبارا عن ابن معين »[2]، وقوله أيضا:« والذي لا أكاد أشك فيه أيضا أن ما سمعه ابن سلام من ابن معين قد دله على أنظم دلالة على ما يبذله هذا الإمام من جهود في تمحيص من كل ما يشوب متونه »[3].

– تفكك فقرات ابن سلام وتعليل ذلك:

يعلل محمد شاكر تفكك فقرات رسالة ابن سلام لأسباب عدة، فمنها تأخر سنه والعلة التي أصابته، فعجل ابن سلام في التأليف مخافة من العجز أو الموت، لأنَّ سنه يلائم أحدهما، إما الموت أو العجز، قبل إتمام نيته في التأليف.

وذلك أنَّ ابن سلام لما عاد إلى كتابة النسخة الثانية من كتاب " طبقات فحول الشعراء "، وهو كما ذكر محمد شاكر قد فرغ منها قبيل وفاته بأيام، خاف أن يسبقه الأجل، فلم يكد يشرع في كتابة الطبقات أو كتابة المقدمة، ويبلغ أخر الفقرة الثانية " فبدأتُ بالشِّعر "، وكاد يكتب " ففصلت الشعراء من أهل الجاهلية " : جزع ووضع القلم يؤامر نفسه، أ يمضي في الكتابة، حتى يفرغ من كتابة الطبقات، ثم يكتب هذا الكتاب، الذي لا غنى عنه في علم الشِّعر والشُّعراء، أم يكف ويضع شيئا

[1]– محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.71.

[2]– المصدر نفسه، ص.74.

[3]– المصدر نفسه، ص.79.

موجزًا، لا غنى عنه، في شأن الموضوع على الشُّعراء، وفي شأن طبقات العلماء أهل الرواية الصحيحة، وتفصيل شأن الوضاعين والكذابين من رواة الشّعر والأخبار، وحار وبلغت منه العلة، فعزم عزمًا قاطعًا على أن يخلي الكتابة من ذلك، فإنه لا يضمن السعة في الأجل، فعزم وهجم على الأمر، فبدأ الفقرة الثالثة بقوله : « وفي الشِّعر مصنوع مفتعل كثير لا خير فيه ...»[1] ، ثم عجل عجلًا شديدًا من الفقرة الثالثة إلى الفقرة الثالثة عشر، ثم عجل أيضًا فذكر طبقات علماء البصرة من أهل العلم والرواية الصحيحة في الفقرة الرابعة عشر إلى الفقرة الثلاثين، فاختصر الكلام اختصارًا شديدًا فقال : « وكان الأصمعي وأبو عبيدة من أهل العلم وأعلم منْ ورد علينا من غير أهل البصرة المفضل ابن محمد الظبي الكوفي »[2].

وهذه وجهة نظر محمد شاكر في تعليل تفكك فقرات رسالة ابن سلام، والتي أعادها بالدرجة الأولى إلى تسرع ابن سلام وخوفه من العجز أو الرحيل لا عودة بعده دون أن يقضي حاجته، الذي راودته في نفسه منذ القدم، فراح يقفز على الفقرات على عجلة واضطراب وعزم .

– الذين عناهم ابن سلام بقوله " القوم ":

يذهب محمد شاكر مذهب الباحث المتفحص في شأن الذين عناهم ابن سلام بالقوم في حد قوله " قد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب"، ورأى أن هؤلاء القوم هم الذين هاجوه وهاجه تداولهم هذا الغثاء ولعلّ ابن سلام رأى ذلك قد ذاع وتداوله الناس أيضا في أحاديثهم ممن ليسوا من جهابذة الشعر، وأن ابن سلام لم يذكر إلا واحدا منهم وذلك في قوله: "وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه محمد ابن إسحاق ابن يسار مولى آل مخرمة وكان من علماء الناس بالسير[3].

[1]– محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.80.

[2]– المصدر نفسه، ص82.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، ص 83.

فإذا كان ابن سلام قد اقتصر ذكره على واحد من هؤلاء القوم، فمحمد شاكر يزيد على ذلك اثنين وهذا ظنه.

أمَّا الأول هو عبيدة ابن شريه الجرهمي وله من الكتب كتاب " كتاب الأمثال وكتاب الملوك وأخبار الماضين " وكتاب " أخبار عبيدة ابن شريه الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها.[1]

ويؤكد محمد شاكر أنَّ الجرهمي، له الكثير من الكلام الغث المصنوع المفتعل منسوبا إلى عاد وثمود المعرقين في القدم، في ملوك حمير الفانين، وله القليل من الغثاء منسوب إلى الشُّعراء المعروفين، وأنَّ كتبه تحمل شِّعرًا صحيح خولط بالغث المصنوع.

أمَّا الثاني فهو وهب ابن منبه، له كتاب " **التيجان** " وفي كتاب التيجان غثاء كثير أيضًا منسوب إلى عاد وثمود وغيرهم من الأمم البائدة، التي لم يبلغنا بيقين شيء من شعرهم، كما أنَّ هذا الكتاب فيه أشعارًا صحيحة خولطت بشعر مصنوع.[2]

وهذه دعوى محمد شاكر في شأن القوم الذين عناهم ابن سلام في رسالته، والتي خلص فيها بأنها ليست استقصاء، ولكنها اختيار للدلالة على ما في هذه الكتب من الشِّعر الصحيح المفرد، ومن الشِّعر الصحيح المقحم في الغثاء، ومن الغثاء المحض، فسقط اختياره على إضافة عبيدة ابن شريه الجرهمي، ووهب ابن منبه إلى ثالثهما محمد ابن إسحاق، وهذا ظن محمد شاكر على قدر معرفته به، وحجته في ذلك أنَّ ابن سلام في كلامه عن المصنوع يؤول على الأرجح إلى مثل ما في كتب هؤلاء من الشِّعر ومن الغثاء المصنوع.

[1]- ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.84.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص.84.

– بقية الكشف عن الوجوه الملثمة:

يرى محمد شاكر من خلال بحثه بالكشف عن أحد الوجوه الملثمة في الفقرة الثالثة من رسالة ابن سلام الجمحي في صدر كتابه "**طبقات فحول الشعراء**"، وهو وجه الشِّعر سقط اللِّثام على وجه أخر، وهو منْ هم القوم الذين تداولوا بعض الشِّعر الصحيح، مخالفا لكلام مصنوع مفتعل، ليس بشعر، وهؤلاء هم من ذكرناهم قبل قليل عبيدة ابن شريه الجرهمي، ووهب بن منبه، وابن إسحاق.

وثالث الوجوه الخمسة الملثمة، وهو الذي جاء في كلام ابن سلام في قوله: «وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم، على إبطال شيء منه، أن يقبل من صحيفة أو يروى عن صحفي »[1]، أي أنَّه نهى عن قبول شِّعر العرب من كتاب مكتوب، وهو يعني ما ذكره في قوله: « قد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب»[2]، وهو لا يعني في ذلك كتب العلماء بالشِّعر، وإنّما حديثه هنا عن الموضوع المفتعل المصنوع.

أمَّا "الصحفي" فهو الذي يروي هذا الغثاء من قراءة تلك الصحف، التي تحمل ذلك الغثاء المصنوع المفتعل، فكان نهي ابن سلام عن الرواية، عن الصحفي نهي عن الأخذ عمن يعتمد في رواية الأشعار على هذه الكتب المؤلّفة، التي فيها شِّعر صحيح خولط بغث من الكلام الرديء، منسوبا إلى المعروفين من شعراء العرب.[3]

ورابع الوجوه هو "العلماء"، والذين سماهم ابن سلام "أهل العلم والرواية الصحيحة، الذين إذا أجمعوا على إبطال شيء من هذا الخليط، لم يكن لأحد بعد إجماعهم ان يقبل من صحيفة أو يروى عن صحفي "[4].

وخامس الوجوه " أهل البادية " الذين لم تأخذ عنهم هذه الأشعار[5].

---

[1]– محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص..84

[2]– المصدر نفسه، ص.84

[3]– ينظر: المصدر نفسه، ص.84.

[4]– ينظر: المصدر نفسه، ص.85.

[5]– ينظر: المصدر نفسه، ص..87

وهذه دعوى محمد شاكر في بقية الكشف عن الوجوه الملثمة، التي ظلت تراوده طيلة دراسته لرسالة ابن سلام.

– طرق تلقي الشِّعر:

حاول محمد شاكر معرفة طريقة العلماء السابقين الأولين من علماء البصرة في أخذ بعضهم عن بعض وجمع الشِّعر، أي كيف تلقوا أو كيف أخذ المتأخرين هذا الشِّعر عن الذين سبقوهم، وبدأ بما كان عليه الأمر في عهد رسول الله صل عليه وسلم.

وذهب إلى أنَّ الصحابة كانوا يتناشدون الشِّعر في مجالسهم، ويذكرون أمر جاهليتهم، وحجته في ذلك مما رواه مسلم في صحيحه في كتاب الشِّعر، والبخاري في الأدب المفرد « لم يكن أصحاب رسول الله صل الله عليه وسلم متحزقين، ولا متماوتين، وكانوا يتناشدون الشِّعر في مجالسهم، ويذكرون أمر جاهليتهم، فإذا أريد أحد منهم على شيء من أمر الله، أو على شيء من دينه، دارت حماليق عينيه كأنَّه مجنون»[1].

ويضيف محمد شاكر أنَّ عبد الرحمن ابن أبي بكرة، قال :"كنت أجالس أصحاب رسول الله مع ابي في المسجد فيتناشدون الأشعار ويذكره حديث الجاهلية"[2].

ولمحمد أقوال كثيرة في الدلالة على ما كان عليه الشِّعر في عهد رسول الله صل الله عليه وسلم، وهذا كافٍ إن شاء الله في دليله على أنَّ الإسلام لم يكن حاجزًا أو مانعًا، لتلقي الشِّعر وتداوله بين الصحابة.

وفي عهد الخلفاء بقي الأمر كذلك، فالعرب لا يزالون يتناشدون الشِّعر في مجالسهم، ويتذكرون أمر جاهليتهم، في عهد أبي بكر وعمر ابن الخطاب، واستمر الأمر كذلك إلى زمان أبي الأسود الدؤلي على عهد ابن أبي طالب، وبدأ يؤسس العربية، ويفتح بابها، وينهج سبيلها، ويضع قياسها، كما قال ابن سلام" زادت حاجته وحاجة أصحابه إلى تقفي الشعر المنحدر مع حملته من

[1]– ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص..92

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ص..93

الجاهلية فمن يومئذ افتتح ناشئة المسلمين بابا جديدا بحفظ شعر الجاهلية عن الصحابة وكبار النابغين في الكوفة والبصرة وسائر الأمصار"[1].

كانت الكتابة قد انتشرت في جميع أمصار الإسلام، فكان التابعون يكتبون لأنفسهم، أكثر ما يسمعون من حديث رسول الله صل عليه وسلم، استعانة بذلك على الحفظ، فأصبح قد المسموع أمرًا منشرًا في النّاس، وكما كان النّاس شديدي الحفاوة بحفظ مآثر جاهليتهم، وشِّعر شُّعرائهم ، كان بينهم في ذلك سبيل آلفوه في تقييد الحديث لمجرد التذكر والحفظ[2].

وفي ذلك يذكر محمد شاكر قول ابن سلام: " وكان الشِّعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم، ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون، قال ابن سلام: قال ابن عون عن ابن سيرين قال عمر ابن الخطاب: "كان الشعر علم قوم لم بكن لهم علم أصح منه "[3].

وحجة ما ذكره محمد شاكر أنَّ للشِّعر أهمية كبيرة في نفوس العرب، فهو ديوانهم ومستودع علومهم، وخزانة حكمتهم به يتذاكرون مآثرهم وأيامهم وغزواتهم، ولما كانت هذه الأهمية في نفوسهم، فأمر تداولهم مؤكد، فلم ينسوه مهما كانت الظروف، سواء كانت في أوقات الشدة في الغزوات، أو في أوقات الرخاء والاستقرار، وهكذا كان تلقي الشِّعر من سابق إلى لاحق، ومن جيل إلى جيل، على استمرار دون انقطاع[4].

[1]- ينظر:محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص ..94

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص..96

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص..98

[4]- ينظر: المصدر نفسه، ص..100

– تذوق الكلام وكيف كان:

وهذا موضوع مهم أثاره محمد شاكر، فيما ذهب إليه بأن تذوق الكلام له جذور عميقة في نفوس العرب، منذ جاهليتهم الأزلية، وبيان ذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى لما اصطفى محمد، وابتعثه من العرب رسولا نبيًا، لم يجعل له آية على نبوته كآيات الأنبياء من قبله، بل أتاه آية واحدة كتابا عربيا منجم التنزيل، يقرأه على الناس على مكث، وأنَّه كلام الله وأنَّه وإنْ كان جاريًا على أساليب لغتهم، فإنَّه مفارق لكلام البشر[1].

إنَّ هذه المفارقة الحاصلة بين كلام الله وكلام البشر، كانوا العرب يشعرون بها، ولولا ما في أنفسهم، ما عرفوا هذه المفارقة، وما شعروا بها، وهذا يعني أنّ الله جلّ جلاله لم يكلف عباده ما لا طاقة لهم به، فهو عالم بما في أنفسهم من قدرة على التمييز والتذوق، الذي بفضله يستطيعون أن يفرقوا بين الكلام البليغ ولأبلغ منه، والرديء والأردأ منه، فهم بذلك قادرين على التمييز بما تعالى به كلام الله على كلام البشر، ومن الإعجاز والبيان، ومقابل ذلك أنهم عاجزين على أنْ يأتوا بمثله، أو يقاربه، فالأمر كله مفوض إليهم بما تحمله أنفسهم من القدرة على تذوق البيان والنظم، تتيح لهم الفضل الواضِح بين الذي هو كلام البشر والذي مباين لكلام البشر.[2]

ومن زاوية فإنَّ هذه القدرة على التذوق وتمييز الخارقين، لم تكن توأمه عهد نزول القرآن، بل هم نتيجة ظهور متطاولة لتذوق البيان في أوسع نطاق من التنوع وأشمله، وعلى درجة من دقة الإحساس بالأبنية اللغوية.

ومن زاوية أخرى أنَّه لا يمكن أنْ يكون الأمر على هذا الوجه عند تنزيل القرآن، إلاَّ وفي أيدي الناس، وفي أنفسهم أمثلة حية كثيرة، متنوعة عتيقة جدا، متداولة بينهم وأمثلة أخرى محدثة عتيدة

[1]– ينظر:محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص .102.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ص.103.

ذائعة بين الناس، على اختلاف درجاتهم لا يكفون عن تتبعها وتذوقها، وعن المقارنة بين قديمها وحديثها، باهتمام وحرص، وشغف غالب يصقل التذوق صقلًا، حتى تبلغ الغاية.[1]

– القرآن ونزوله وصلته بالتذوق الشعري:

يرى محمد شاكر أنَّ نزول القرآن حادثة فريدة في تاريخ البشر، لم يكن لها شبيه في تاريخ الأمم، ولا في تاريخ الأنبياء صلوات الله عليهم، وأنَّها حادثة باقية على الدهر ببقاء القرآن متلوًا بين النَّاس، وأنَّ الالتزام بها في الدراسات الأدبية والتاريخية أمر ضروري، ينبغي لكل دارس من أديب ومؤرخ أنَّ يقف عندها طويلًا، وخاصة للمتكلم في شأن الشِّعر الجاهلي " حتى لا يجور به الطريق ويجلب معه الأوهام الفاسدة أكثر مما يجلب من الحقائق الأدبية أو التاريخية "[2].

ذلك أنَّ الذين آمنوا بهذا الكتاب –كتاب الله – هم العرب الجاهليين، أصحاب الشِّعر الجاهلي، فصورة هذا العصر وصور رجاله، أساس لا غنى عنه في قضية الشعر الجاهلي، وفي قضية روايته، هذا من جهة.[3]

ومن جهة أخرى أنَّ مطالبة أهل الجاهلية بالإيمان بمحمد صل الله عليه وسلم، وأنَّه نبي مرسل مبلغ عن ربه تعتمد على أصل واحد لا غير، هو أنْ يستمعوا إلى هذا القرآن ويستمعوا إلى رسوله صل الله عليه وسلم، وهو يتلوا عليهم ما ينّزل إليه من ربه، وأنهم إذا أحسنوا الاستماع إلى ما يتلى عليهم منه كانوا قادرين على أنْ يعلموا علمًا يقينًا أنّ هذا الكلام مباين لكلام البشر جميعا، وهذه المباينة دالة على أنَّه كلام رب العالمين، منزلًا على تاليه عليهم بلسان عربي مبين.[4]

[1]– ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص 104.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ص.106.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، ص.106.

[4]– ينظر: المصدر نفسه، ص.107.

فمن زاوية أنَّهم لا يكونون قادرين على هذا التميز الفاصل العجيب، إلا وقد أوتوا قدرًا يفوق كل تصور من القدرة على تذوق أبنية الكلام، تذوقًا نافذًا، إلى أعمق أعماق البيان الإنساني، وأنَّ هذا القدر من التذوق، غير ممكن أن يناله أحد، إلَّا بعد قرون متطاولة موغلة في القدم، كان التذوق فيها عملًا دائبًا عند العرب الذين نزل هذا القرآن بلسانهم.[1]

ومن زاوية أخرى أنَّ هذا غير ممكن أنْ يكون، إلا وعند هؤلاء العرب المطالبين بهذا الفصل الخارق بين كلام البشر وكلام الله، قدر هائل من الكلام الشريف النبيل، الجامع لأساليب البيان الإنساني، يكون متداول بينهم، يمارس عليه العرب هذا التذوق، وأنَّ هذا الكلام النبيل الشريف أكثره شعرًا عربيا، جاهليًا، متنوع المعاني، متعدد الأغراض، وأنَّ تذوق هذا الكلام النبيل – الشعر الجاهلي – وغيره كان عمل كبيرهم وصغيرهم، ولولا هذا لم يكن لهذه المطالبات معنى يعقل.[2]

وهذا مقصور كله على سابق علمه سبحانه، ومردود كله إلى مشيئته، فمحال أن يفاجئ الله عباده من عرب الجاهلية بهذا اليقين الذي طالبهم به، وهم غير قادرين عليه، فكان لزاما أن تكون لهم قدرة يعلمها سبحانه فيهم، وإن كانوا يجهلونها هم أنفسهم من قبل أن يطالبوا بهذا التبيين، وإلا يكن ذلك كذلك، كانت المطالبة تعجيزًا محضًا لعباده يسقط منهم التكليف الذي تقتضيه هذه المطالبة، وتعالى الله عن أنْ يكلف عباده أمرًا يعلمه سبحانه، أنه خارج عن قدرتهم خروجا لا إرادة لهم فيه، وبديهة العقل تقضي بأنَّه محال أن تكون هذه القدرة جبلة قطر العرب عليها بلا إرادة منهم، ولا عمل، وإذن فهي قدرة مكتسبة بإرادة وعمل .[3]

ويتبين تبينًا جليًا أنَّ أصحاب اللّسان العربي يومئذ كان عندهم قبل المطالبة أمثلة حية كثيرة بينهم، من كلام قد مارسوه وآباءهم، ممارسة متوارثة بعيدة الأجل، حتى اكتسبوا قدرة كامنة في

[1]- ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.108.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص.110.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص.111.

أنفسهم تجعلهم قادرين على التمييز بين كلام البشر وكلام الله، فكان عدلًا من الله لا ظلم فيه أن يطالبهم بهذا التمييز[1].

إنَّ هذه القدرة على التذوق التي اصطبغ بها العرب الجاهلين حقيقة لا مجال للشك فيها، ذلك أنَّ كل صحابي لم يخرج من جاهليته إلى إسلامه، إلا بعد أنْ استوعب بهذا التذوق النافذ العميق قدرًا هائلا من علم الكتاب المنّزل، حين تهدم الحاجز الكثيف فانكشف له أن هذا الكتاب كلام الله المباين لكلام البشر[2].

وإلى هنا فإنَّ أمر الشِّعر الجاهلي في عهد الصحابة، ثم في عهد كبار التابعين، كان جدًا كله، وأنَّه كان منصوبا قائما في الانفس والألسنة، في ضوء هذا التذوق النافذ البصير الهادي إلى تذوق القرآن، تذوقًا تنخلع له النفس من كل قوتها، حتى تستيقن أنَّه كلام الله المنزه من شوب ونقصان.[3]

وبهذا يمكن التسليم بأنَّ الشِّعر الجاهلي، ليس من السهل أنْ يكون عرضةّ إلى الوضع والصناعة في ظل حضور هذا التذوق الخارق، الذي لا تخفى عنه خافية، أنْ يوضع على لسان امرؤ القيس مثلا، أو النابغة، أو عنترة، فيكون بذلك الوضاع، أو الصانِع، أو النساب عنوتةً أو مفاخرة، عرضةً لعقوبة ذلك القانون الخفي في نفوس الحاضرين، وهو قانون التذوق الذي طال ماسكن أنفسهم منذ أزمنة متطاولة، ونما وكبر فيها، حتى أصبح حامليه لا تغيب عليهم غائبة في شان الشِّعر والموضوع المفتعل المصنوع منه[4].

كان التذوق لا يغادر نفوس جمهور الجاهليين، حتى صار طَبعهم الذي طُبعوا به، وعايشوه وعايشهم، وانتقل من جيل إلى جيل، انتقال الشِّعر من عصر إلى عصر، ومن بيئة إلى بيئة شفاهة آنذاك، فمتى كان الشِّعر كان التذوق حاضرًا معه، ولما كان هذا الاهتمام كبير بالشِّعر وتذوقه، صار

[1]- ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.112.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص.113.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص.114.

[4]- ينظر: المصدر نفسه، ص.116.

الشِّعر محفوظًا من الوضع والصناعة، وأخذه المتأخرون عن المتقدمين بصورة واضحة لا تشوبها شائبة هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنَّه كان هذان الوجهان متلازمان –الشِّعر وتذوقه –كان وجهان لعملة واحدة هي صحة " الشعر الجاهلي "، والتي يؤكدها ما كان يزخر به العصر الغني التي حظي بها هذا الكلام الشريف النبيل في أوساط مجتمعه، الذي بلغ فيه درجة ومكانة عالية من التقدير والاهتمام.

هكذا انتقل الشِّعر من بيئة إلى بيئة، ومن عصر إلى عصر عبر أجيال متتالية، وظل سليمًا مبرأ محفوظًا بالصدق نحو مئة عام، منذ هجرة الرسول صل الله عليه وسلم، إنْ كانت هجرته قد تناقصت إلى أن انتهى إلى مدرسة العلماء، الذين أولوا الكثير منهم عنايتهم بالجمع والتمحيص كعلماء البصرة، أمثال أبي الأسود الدؤلي، وإسحاق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء وغيرهم.[1]

أما عن قول ابن سلام " فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب –أي الشعر الجاهلي–وتشاغلوا عنه بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهت العرب عن الشِّعر وروايته، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح ...راجعوا رواية الشِّعر " فإنَّ محمد شاكر يصف هذا التغيير بأنه تفسير سيئ وخاطئ، ويرى بأنَّ العرب ما لهت عن الشِّعر قط، مهما كانت الظروف، سواء في الغزو أو في أوقات الاستقراء.[2]

إذن فالشِّعر الجاهلي السليم المبرأ من العيب، ظل محفوظًا بالكرامة والصدق، حتى تلقاه العلماء إلى أواخر القرن الأول من الهجرة، وكان قبل أن تفتح أبواب العربية في عهدها المبكر منصوبا للتذوق البصير لأعلى البيان الإنساني.[3]

[1]– ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.118.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ص.119.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، ص121.

وانتهى محمد شاكر في تمام دراسته لرسالة الطبقات عند من وصفه بأكبر المشككين والنافين لصحة ما عندنا من الشعر الجاهلي، متوقفا عند فقرة من فقراته وأظنها قد هزته وأعنفته.[1]

أما عن أكبر المشككين، فإن محمد شاكر لم يذكر اسم الذي قصده إلا وصفًا، ولكن بعدما قرأنا الفقرة، تذكرنا أنّها قد فاتت علينا فيما سبق، وهي إحدى الفقرات عالجناها من قبل في مسيرتنا الدراسية، وقد كان مضمونها التشكيك في صحة الشِّعر الجاهلي لصاحبها "طه حسين" التي ختم بها كتابه في الشعر الجاهلي.

أما عن الفقرة فهي قوله: «أمّا نحن فمطمئنون إلى مذهبنا، مقتنعون بأنَّ الشِّعر الجاهلي أو كثرة هذا الشِّعر الجاهلي لا تمثل شيئًا، ولا تدل على شيء، إلا قدمنا من العبث والكذب والانتحال، وأنَّ الوجه إذا لم يكن بد من الاستدلال بنص على نص، إما هو الاستدلال بنصوص القرآن على عربية هذا الشِّعر، لا بهذا الشِّعر على عربية القرآن».[2]

أمَّا عن محمد شاكر فذهب إلى أنَّ "بطلان الشِّعر الجاهلي، دال على تقصير محزن في الاطلاع على هذا الشِّعر، وعلى سوء تذوقه، وأمَّا مسألة الاستدلال التي ذكرها طه حسين، فيرى أنَّ الاستدلال بالقرآن على ما في الشِّعر من نحو وصرف أو لغة أو على الاستلال بالشِّعر على القرآن أمر هين لا خطر له، وكلاهما معروف في الكتب العربية، وخلص إلى أنَّها كلمة مطرحة لا وزن لها، ولا خير فيها، وهي مبنية على مطالبة مزيفة"[3].

[1]- ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي، ص.121.

[2]- المصدر نفسه، ص.122.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص.123.

الفصل الثاني

دراسة كتاب قضية الشِّعر الجاهلي في كتاب ابن سلام

I. أولية الشعر الجاهلي وأراء النقاد فيها.

لقد حاول كثير من الباحثين الوصول إلى بداية الشِّعر الجاهلي، ونقصد بالبداية هنا المرحلة التي سبقت النضج الشِّعري، إذا لا يعقل أنْ يكون الشِّعر الجاهلي قد ولد متكاملًا في صورته التي وصل فيها إلينا، ذلك أنَّ كل عمل فني ناضج لا بد أن يكون مسبوق بمحاولات عديدة من الممارسة الجماعية والفردية، حتى يستقيم هذا العمل الفني، وشأن الشِّعر الجاهلي كان كذلك، حتى وصل إلينا في معلقات وقصائد قائمة بذاتها، انتقلت من جيل إلى جيل شفاهة إلى أن صادفت عصر التدوين، فدونت وهي موجودة عندنا اليوم في الكتب والمصنفات.

1/ أولية الشِّعر أولية موغلة في القدم:

نالت قضية أولية الشِّعر أكبر الحظ من الدراسات والبحوث عند القدامى والمحدثين، وقد اختلفت الآراء ووجهات النظر حولها، وذهب كل باحث في شأن هذه القضية يبرهن على اتجاهات صحة قوله.

2/ نسبةً إلى سيدنا نوح:

من المسائل الغريبة في أولية الشِّعر العربي، هي مسألة نسبته إلى سيدنا نوح عليه السلام، أخبرنا أبو عبد الله المفضل بن عبد الله المحبري قال: سألت أبي عن أول الشِّعر من قال الشِّعر فأنشدني هذه الأبيات.

تغيّرتِ البلادُ ومَنْ عليها فوجه الأَرْضِ مُغْبرٌّ قبيحُ"

تَغُير كُل ذِي لَونٍ وطَعم وَقُل بَشَاشَة الوجَه القَبِيح

قال أبو زيد القرشي:« ثم سمعت جماعة من أهل العلم يؤثرون أن قائلها أبونا آدم عليه السلام حين قتل ابنه قابيل هابيل فالله أعلم أكان ذلك أم لا ».[1]

[1]- القرشي أبو زيد، محمد الخطاب، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تح: علي محمد البجاوي، نهضة مصر، د.ط، 1981، ص.31.

وقد ذهب العديد من الحفاظ والنُّقاد والأدباء إلى عدم التسليم بصحة نسبة الشِّعر لآدم عليه السلام، فهذا الحافظ ابن كثير يقول: «وهذا الشِّعر فيه نظر، وقد يكون آدم عليه السلام قال كلاما يتحزَّن به بلغته، فألفه بعضهم إلى هذا وفيه إقواء والله أعلم».[1]

وقال القيتيري: قال ابن عباس « ما قال آدم الشعر وإن محمدا والأنبياء كلهم في النهي عن الشِّعر سواء، لكن لمّا قتل هابيل رثاه آدم، وهو سرياني، فهي مرثية بلسان السريانية أوصى بها إلى ابنه شيث وقال إنك وصيٌّ فأحفظ مني هذا الكلام، ليتوارث فحفظت منه إلى زمان يعرب ابن قحطان فترجم عنه يعرب بالعربية ».[2]

وقال الألوسي:« ذكر بعض علماء العربية أنَّ في ذلك الشِّعر لحنًا أو إقواء، أو ارتكاب ضرورة، والأولى عدم نسبته إلى يعرب أيضًا لما فيه من الركاكة الظاهرة ».[3]

وقال صاحب الكشاف :« وروي أنَّ آدم مكث بعد مقتل هابيل مائة سنة لا يضحك وأنَّه رثاه بشعر، وهو كذب بحت وما الشِّعر إلا منحول ملحون، وقد صح أنَّ الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشِّعر ».[4]

ولأبي العلاء المعري تعليق على هذه الأبيات قال على لسان آدم عليه السلام فيقول آدم عليه السلام:« أعزز علي بكم أبينيّ ! إنَّكم في الضلالة متهوكون ! أ ليت ما نطقت هذا النظيم، ولا نطق

[1]- عماد الدين، أبو الفراء إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تح: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ج1، دار هجر، القاهرة، ط 1، 2003، ص.105.

[2]- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964، ج6، ص.140.

[3]- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني تح: علي عبد الباري عطية، ج3، ط1، دار الكتب العلمية _ بيروت، 1415هـ، ص.ص.285-286 .

[4]- الزمخشري، أبو قاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل، تح: عبد الرزاق المهدي، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ص.660.

في عصر، وإنما نظمه بعض الفارغين، فلا حول ولا قوة إلا بالله! كذبتم على خالقكم وربكم، ثم على آدم وأبيكم، ثم على حواء أمكم، وكذب بعضكم على بعض، وما لكم في الأرض».[1]

ومن أمثلة ما رواه المعري في رسالة الغفران فيقول:«... يا أبانا صل الله عليك، قد روي لنا عنك شِّعر منه قولك:

نَحنُ بَنو الأَرضِ وَسُكّانُها مِنها خُلِقنا وَإِلَيها نَعود

وَالسَعدُ لا يَبقى لِأَصحابِهِ وَالنَحسُ تَمحوهُ لَيالِي السُعود

فيقول: إنّ القول حق، وما نطقه إلاّ بعض الحكماء، ولكني لم أسمع حتى الساعة ».[2]

ومن خلال أقوال هؤلاء النُّقاد والأدباء، فإنَّ رأي البحث لا يخرج عن دائرة رؤياهم ووجهة نظرهم، وهم أولى أنْ يتبعوا فيما ذهبوا إليه، أن ذلك الشِّعر لا يليق أن ينسب إلى آدم عليه السلام، ولا يمكن التسليم بصحته.

3/ نسبة الشِّعر إلى قوم عَاد وثَمود:

ومن مسألة نسبة الشِّعر إلى آدم عليه السلام إلى مسألة أخرى، وهي شقيقتها إن صح التعبير، فهناك من ينسب شِّعرًا للعمالقة وعاد وثمود.

قال أبو زيد محمد بن الخطاب القرشي:« وقد قالت الأشعار العمالقة وعاد وثمود.

قال معاوية بن بكر بن الحبتر بن عتيك عن قرمة بن جلهم بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، وكان يومئذ سيد العمالقة، وقد قدم إليه قيل بن عير، وكانت عاد بعثوه ولقمان بن عاد وفدًا معهما ليستسقوا لهم حين منعوا الغيث، فقال معاوية بن بكر:

[1]- المعري أبو العلاء، رسالة الغفران، تح: د عائشة عبد الرحمان، ط.9، دار المعارف، القاهرة _مصر، 1977، ص.364.
[2]- المصدر نفسه، ص.630.

أَلا يا قَيْلُ! وَيْحَكَ! قُمْ فَهَينمْ لعَلَّ اللَّهَ يَصْبَحُنا غَمامَا

فَيَسْقي أَرْضَ عادٍ، إنَّ عاداً قَدَ اضْحَوا ما يُبينُونَ الكَلاَمَا

وقال مرشد بن سعد بن عضير، وكان من الوفد وكان مسلما من أصحاب هود عليه السلام:

عَصَتْ عادٌ رَسولَهُمُ، فأَمْسَوا ... عطاشاً ما تَبُلُّهُمُ السَّماءُ

وَسُيِّرَ وَفْدُهم مِن بَعدِ شَهرٍ ... فأَردَفَهُمْ مَعَ العَطَشِ العَماء

بِكُفرِهِمُ بِرَبِّهِمُ جَهاراً ... على آثارِ عادِهِمُ العَفاء[1]

وأمثلة كثيرة عن شِّعر العمالقة وعاد وثمود، لكن هذه الأشعار مشكوك فيها، والعجيب فيها، أن دليل بطلانها واضح فيها، ذلك أن ما رأيناه واستخلصناه من خلال قراءتنا لهذه الأشعار لأول وهلة هو احتوائها على التناص القرآني، ورأي البحث أنها بعد الإسلام والله أعلم.

يقول ابن سلام الجمحي: « فنحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان، ولا نجد لأولية العري المعرفين شِّعرًا، فكيف بعاد وثمود ».[2]

بل إنَّ خليفة بن خياط في طبقاته، ينفي ثبوت شِّعر أو معرفة ما وراء معد بن عدنان، فيقول: "وحدثني أبو محمد العبيدي عن ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير وسليمان بن حثمة قال:"ما وجدنا في شِّعر شاعر ولا علم عالم أحداً يعرف معد بن عدنان بحق لأن الله يقول: ﴿ وَقُرُناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾".[3]

[1]- القرشي، أبو زيد، محمد بن الخطاب، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، ص.31-32.

[2]- ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء، ص.11.

[3]- أبو عمرو خليفة بن الخياط، طبقات خليفة بن خياط، تح: سهيل زكار، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، 1993، ص.26.

ويقول **الرافعي**: « وهذا **المسعودي** يروي في " **مروج الذهب** " أشعارا عربية للقبائل البائدة: كعاد وثمود وطسم وجديس، وهذه روايات لا يقيدها بتاريخ ولا يحدها بزمن، فيمكن على ذلك أن تدخل في عمار وأقاصيص، ولكن رأيناه يذكر ممن في الفترة، أسعد أبا كرب الحميري، أوّل من كسا الكعبة الأنصاع والبرود قال: وكان مؤمنًا وآمن بالنبي صلّ الله عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعمائة سنة، ثم استدل على ذلك بشِّعر نسبة إليه، وهذا منتهى العجب »[1].

وقد ذهب **علي جواد** إلى أن هذا الشِّعر الذي ينسبونه إلى هذه القبائل، تظهر فيه ملامح الصنعة «فهذا السهيلي صاحب الروض الأنف، دوّن شِّعرًا أخذه من كتاب أبي بحر سفيان بن العاصي، زعم أنَّه وجد في بئر باليمامة، وهي بئر طسم وجديس في قرية يقال لها معنق بينها وبين الحجر ميل، وكان مكتوبًا على ثلاثة أحجار، كتبها قوم من بقايا عاد، غزاهم تبع... ولو لم يكن هذا الشِّعر من النوع المصنوع، لكان من أقدم ما وصل ألينا من الشِّعر الجاهلي بلا شك ».[2]

إن عدم ثبوت أولية الشِّعر لآدم عليه السلام، وكذا عاد وثمود ظاهر بيّن من خلال أقوال وأراء هؤلاء النقاد والأدباء، وإلى هنا لم تنتهي مسألة أولية الشِّعر المبهمة الموغلة في القدم.

4/ نسبة الشِّعر إلى عهد إسماعيل عليه السلام:

بل هناك من قدم قصائد من عهد إسماعيل عليه السلام، ومثال ذلك ما ذكره نجيب البهبيتي في كتابه " **الشِّعر العربي في محيطه التاريخي القديم** " بأنَّ أبَا الشِّعر العربي الأول نبي هو إسماعيل أبو الشِّعر العربي، نشأ بعمله في العاربة، واتخذ أول أشكاله على صورة أناشيد يتغنى بها المصلون في صلاتهم بالمعبد، ينظمها لهم إمامهم الديني، الذي تولى قيادتهم الدينية، بعد أن ترك أبوه له رعايتهم وتعليمهم دين التوحيد الجديد، ولذا وَجد إسماعيل نفسه مسئولا عن الصغيرة والكبيرة فيه، فهو

[1]– الرافعي مصطفى الصادق، تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان، مصر، الطبقة الأولى، 1997، ص.13.

[2]– جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، 172، بيروت، ط.4، 2002، ص.409.

الإمام، وهو ناظم الأناشيد، وهو مرتلها والمصلون من ورائه يرددون، والصلاة في المعابد الأولى كلها كانت أناشيد منظومة، تغنى وتصحبها الموسيقى، وإسماعيل هو الموجه لهذا كله، وهو القائم به وعليه.[1]

وفي ذلك يقول **محمد بلوني**: « وهي قراءة تنطلق من فرضية تحتاج إلى أدلة موثّقة تعضد به ما تذهب إليه، لأن المسألة نسبة بداية الشِّعر العربي القديم إلى إسماعيل عليه السلام، تحتاج إلى تروٍ وتمحيص دقيق، حتى لا نبني أحكامًا علمية لهذه الأهمية على فرضيات غير مؤسسة ».[2]

تبيّن أن **البهبيتي** ربط قدسية الشِّعر عند العرب بالاعتقاد الذي كانت العرب تعتقدُه، أن الشَّاعر كان يقدم في قومه مقام النبي، واحتج بما روي عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال: «كانت الشُّعراء عند العرب في الجاهلية بمنزلة الأنبياء في الأمم ».[3]

ويرى ذلك أن هذا الربط عجيب غريب، وهو ربط لا يقوم له دليل قاطع، ولا برهان ساطع، وقد صدق الزمخشري في قوله: أن الأنبياء معصومون عن الشِّعر.

[1]- ينظر: البهبيتي، نجيب محمد، الشعر العربي في محيطه التاريخي القديم، دار الثقافة للنشر والتوزيع المغرب، ط.1، 1987، ص.71.

[2]- بلوني محمد، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقالاته الشعر الجاهلي، بحث في تجليات القراءات السياقية، مجلة التراث العربي، العدد 81- 82، 2001، ص. ص.277-278.

[3]- الرازي أبو حاتم أحمد بن حمدان، كتاب الزينة في الكلمات العربية الإسلامية، تحقيق حسين بن فضل الله الهمداني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط1، 1995، ص.105.

5/ أولية الشِّعر الجاهلي "أولية حديثة":

– أولية الشِّعر الجاهلي ورأي الجاحظ فيها:

يرى محمد شاكر في كتابه قضية الشِّعر الجاهلي في كتاب ابن سلام أن أكثر الباحثين يؤولون في الحديث عن قضية عمر الشِّعر الجاهلي وأوليته إلى قول أبي عثمان الجاحظ، ...لثقة النَّاس بعقل الجاحظ ونظره.[1]

فإذا كان الجاحِظ من فجر هذه القضية، وأرسى قواعدها وجعل عمر الشِّعر يمتد بين القرن والقرنين، قبل ظهور الإسلام على أكثر تقدير، وهو عمر قصير بالمقارنة مع عمر الإنسانية السحيق في حد قوله:« وأما الشِّعر فحديث الميلاد، صغير السن، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل ابن ربيعة... فإذا استظهرنا الشِّعر وجدناه إلى ان جاء الله بالإسلام، خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام ».[2]

فإنَّ **محمود شاكر** يعلق على قوله، فيقول:« وهذا الأسلوب الحسابي لا يغني ولا ينفع إلا في أمر واحد لا غير، هو تحديد عمر ما بلغنا من شِّعر مهلهل وابن أخته امرئ القيس لا أكثر»[3].

ويقول أيضًا: « وهذا الأسلوب من النظر في تقدير عمر الشِّعر العربي، أسلوب حسابي بحت، والحساب وحده لا يكاد يغني شيئا في ميلاد الشِّعر وحداثته، لم ينظر أبو عثمان أو لم يبال أن ينظر في شِّعر امرئ القيس نفسه، كيف جاء موزونًا مقفى على ضروب مختلفة من الأوزان والقوافي، معروفة عنده في شِّعر مهلهل وابن أخته، الذي ورث عنه الشِّعر، ولم يبال أن ينظر أن يأمر نفسه، أن تنظر كما أمرنا أن ننظر في موت زرارة ، كيف تسنى لمهلهل وابن أخته أن يستحدث هذا القدر من

[1]– ينظر:محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، ص .11.

[2]– الجاحظ أبو عثمان عمرو بن جحر، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، ج1، طبعة الحلبي، القاهرة، ط2، 1967، ص.59.

[3]– محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، ص.13.

البحور المختلفة والأوزان والقوافي؟ ولا كيف يمكن أن يقع لهما هذا القدر من الإبداع، جملة على غير مثال سابق؟ وأسئلة أخرى كثيرة ».[1]

وقد تبيّن لنا من هذا التعليق الطويل الذي صوبه محمد شاكر في قول الجاحظ في الاستظهار أن ما هزه، وأعنفه في قول الجاحظ هي عبارة" **حديث الميلاد** "، " **صغير السن** " فمحمد لا يرضى أن يكون الشِّعر الجاهلي، حديث الميلاد، صغير السن، وما يحبه هو أن يسمع أن أولية الشِّعر " **موغلة في القدم، عريقة متجذرة** ".

لكن **الجاحظ** حين افترض أن البداية الأولى للشِّعر العربي، كانت على يد امرئ القيس والمهلهل بحوالي 150عاما، وعلى أكثر تقدير 200عام قبل الإسلام، نجده في موضع أخر من كتابه الحيوان، يفترض تقديرًا أخرًا مناقضًا لتقديره الأول، يقول: « وقد قيل الشِّعر قبل الإسلام في مقدار من الدهر أطول، مما بيننا اليوم، وبين أول الإسلام أولئك عندهم أشعر ممن كان بعدهم ».[2]

وبما أنه قد ألف كتابه " **الحيوان** " الذي ذكر فيه هذا الافتراض في أخر حياته، بعد مقتل المتوكل سنة 297هـ، فإنَّ الفترة التي اقترحها في القول الأول، تناقض الفترة التي اقترحها في القول الثاني، وذلك أن الفترة التي اقترحها في قوله الثاني للبدايات الأولى للشِّعر تتجاوز 230 عاما تقريبا قبل الإسلام.[3]

و يمكننا أن نؤيد الرأي الذي ذهب إليه الجاحظ على اعتبار الشِّعر الذي وصل إلينا.

يقول **علي جواد:** « العلماء من العرب الذين قالوا بمدة مائة وخمسين سنة تقريبا للشِّعر الجاهلي، لم يبتعدوا عن الصواب، إذا فرضنا أنهم أرادوا بذلك ما وصل إلينا من الأشعار القديمة ».[4]

---

[1]- محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، ص .14.

[2]- - الجاحظ أبو عثمان ابن جحر، الحيوان، ص277.

[3]- ينظر: باديس فو غالي، أولية الشعر والنقد القديم، مجلة الموقف الأدبي، العدد398، حزيران 2004م، ص.100.

[4]- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص.410.

ويقول **الرافعي**: «والذي عندنا أن أولية الشِّعر العربي لا ترتفع عن مائتي سنة قبل الهجرة، ولا يذهب عنك أننا لا نريد بالشِّعر التصورات والمعاني... وكذلك لا نريد بالشِّعر المطلق ما اصطلحوا على وصفه من ذلك... وإنما نريد بالشِّعر هذا الموزون المقفى باللّغة التي وصلت إلينا».[1]

إذًا فالرافعي يريد بقوله أولية الشِّعر العربي، لا ترتفع عن مائتي سنة، هو بذلك الشِّعر الذي وصلنا كاملًا في أتم النضوج الفني، وكاملا لفظًا ومعنى، وتعبيرًا باللغة العربية التي نعرفها كقصائد المعلقات مثلا، فهو تحديد لعمر الشِّعر الذي وصل إلينا، وزِد على ذلك أن ما بأيدينا اليوم من الشِّعر إلا أقله، فكيف بالأكثرية المفقودة.

قال **أبو عمر بن العلاء**: «ما انتهى أليكم ما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا، لجاءكم شِّعر وعلم كثير »[2].

ويشير **ابن سلام** بقوله: «لا يحاط بشِّعر قبيلة واحدة من قبائل العرب، وكذلك فرسانها وسادتها وأيامها».[3]

ولعل الجاحظ في تحديده للفترة الزمنية لأولية الشِّعر، قد اعتمد على حدث مشهور عند العرب، هلهل فيه الشُّعراء الشِّعر، وهو حرب البسوس، وهذا ظن يتفق مع ظن يوسف خليف في قوله: «وفي أغلب الظّن أن هذه الحرب، يقصد حرب البسوس هي التي شهدت الأولية الناضجة للشِّعر الجاهلي، فقد أظهرت جماعة من الشُّعراء نهضوا بفن الشِّعر نهضة قوية أخرجته من الدوائر الشعبية، التي كان يدور فيها إلى الدائرة الرسمية ن حيث نرى القصيدة العربية في صورتها الناضجة،

[1]- الرافعي مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ص.15.

[2]- الرازي أبو حاتم احمد بن حمدان، كتاب الزينة في الكلمات العربية الإسلامية، ص.106.

[3]- محمد ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص.03.

التي تسيطر عليها مجموعة من التقاليد الفنية الثابتة، وتتحكم فيها طائفة من القوانين المحكمة الدقيقة، حققها شُعراء هذه المرحلة من تاريخ الجزيرة العربية »[1].

وفي موضع أخر يشير أنَّ أولية الشِّعر الجاهلي الحقيقة، لا يمكن الجزم بالحكم أنها وليدة عهد حرب البسوس، فيقول:« فالقصيدة العربية كما أظهرتها حرب البسوس لا تمثل أولية للشِّعر الجاهلي، وإنما تمثل الأولية الناضجة المكتملة، التي لم يصل إليها الشُّعراء إلا بعد أن مروا بتجارب طويلة متعددة، مارسوا فيها قول الشِّعر، وحاولوا الوصول بالعمل الفني إلى صورة ثابتة محددة التقاليد والقوانين »[2].

وإذا عُدنا إلى استظهار الجاحِظ وبالخصوص في قوله:« إنَّ الشِّعر "حديث الميلاد"، "صغير السن "، فهي عند محمد شاكر قضية باطلة لا برهان عليها، وليس لها دليل، وهي مقالة لا أصل لها، وليس يبقى في أيدينا من استظهاره الذي استظهره، إلا أمر واحدًا هو أن امرؤ القيس وخاله المهلهل من أقدم شُعراء الجاهلية، الذين انتهى إلينا شعرهم... ولكن يحسن أن نقيد هذه القضية بقيد لا بد منه احترازا من التعميم الغامض، هو أننا نعني الطوال المقصدة دون ما نسميه المقطعات، أو الأبيات ذوات العدد، التي بلغتنا من قديم شِّعر الجاهلية »[3].

والرأي الراجِح عندنا أن أولية الشِّعر الجاهلي، لم تكن ابنة فترة تاريخية بعينها، وأن الشِّعر لم يبلغ نضجه الفني من عدم، بل أن هناك مراحل متقدمة تعد بالقرون، كانت فترة تبلور واستواء قبل أن ينضج بهذا الشكل المتميز عند أقدم شاعرين، وصل إلينا شعرهما كالمهلهل وامرئ القيس، فالشِّعر الجاهلي تشكل تدريجيا، فلا يعقل أن ينطلق امرئ القيس في زمانه من فراغ، فيبدع قصيدة كاملة

[1]- يوسف خليف، دراسات في الشعر الجاهلي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1981، ص.400.

[2]- المرجع نفسه، ص.41.

[3]- محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، ص.14.

ناضجة فنيًا، دون سابقة محاولات عديدة، من الممارسة والدربة، مر بها الشِّعر والشُّعراء الجاهليين حتى وصلوا مرحلة النضج والإبداع.

وإذا عدنا إلى المستشرقين فإّننا نجد أنّ قضية الشّعر، نالت حظها من الدرس والبحث من طرف هؤلاء المستشرقين، ولكل وجهة نظره فيها، وبالخصوص مرجليوث الذي حاول إثبات أن البداية الحقيقية للشِّعر الجاهلي، إنما ظهرت بعد الإسلام لا قبله، فنجده يقول: « والكمية الهائلة من النقوش التي ترجع إلى ما قبل الإسلام، والتي نملكها الآن مكتوبة بعدة لهجات، ليس فيها شيء من الشِّعر... ولا يمكن أن نستنتج من النقوش العربية أنّه كانت لدى العرب أية فكرة على النظم أو القافية، على الرغم من أن حضارتهم في بعض النواحي كانت متقدِّمة جدًا »[1].

فمن خلال قوله نجده ينفي وجود الشِّعر في كمية النقوش الهائلة، التي اكتشفت، كما أنَّه ينفي عند العرب معرفتهم فنون النظم أو القافية، وبالتالي فأنَّه ينفي وجود الشِّعر الجاهلي تمامًا.

ويقول أيضًا:« فإن كان القرآن يتحدث عن الشِّعر على أنّه شيء يحتاج إلى تعلم، فمن المعقول أن نفترض أنّه يشير إلى تلك الصفة التي تستلزم العلم بالأبجدية، لأن القافية العربية تقوم في تكرار نفس المجموعة من الحروف الساكنة والعلم نظام نحوي، لأنَّ النظم يتوقف على الفارق بين المقاطع الطويلة والقصيرة، وارتباط بعض النهايات ببعض المعاني، فيمكن إذًا أن يكون ما يشهد عليه القرآن، هو أنَّه قبل ظهوره، كان بين العرب الكهان المعروفين بأنهم شعراء، ومن المحتمل أنَّ لفتهم كانت غامضة، كما هي الحال لأي ألوان الوحي »[2].

ويرى البحث أن ما ذهب إليه **مرجليوث** لا يقوم على حجة ولا برهان، إنما ضرب للغة العرب التي حفظها الشِّعر لا غير.

[1]- مرجليوث ديفيد صمويل، نشأة الشعر العربي ضمن كتاب دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، ط1، لبنان، 1979، ص.90.

[2]- المرجع نفسه، ص .91.

وقد اختلفت الدراسات والبحوث في شأن أولية الشِّعر، فإذا كان هناك من أثبتوا أولية الشِّعر الجاهلي، فإن فريقًا أخرًا يؤكدون أنه ليس للشِّعر أول يوقف عليه، وذلك فيما رواه السيوطي في المزهر في علوم اللغة وأنواعها قال: قال عمر بن شيت في طبقات الشُّعراء «للشِّعر والشُّعراء أول لا يوقف عليه »[1].

ويشير **جواد علي** إلى أن أولية الشِّعر الجاهلي، لا يمكن أن نقر ببدايتها بنحو قرن أو قرنين قبل ظهر الإسلام، فيقول: « أما إذا كان قصدهم، أن نظم القصيد كان قد بدأ في هذا الوقت. وأن الشِّعر بالمعنى الاصطلاحي المفهوم منه، لم يظهر عند العرب إلى قبل قرن أو قرنين عن الإسلام، فذلك خطأ في الرأي وفساد في الحكم، فالشُّعراء أقدم من هذا العهد بكثير».[2]

ومن خلال هذه الأقوال يتبين لنا أن أولية الشِّعر الجاهلي أولية غامضة موغلة في القدم، ليس من السهل أن نستطيع تحديدها تحديدًا كافيًا شافيًا، ويدل على ذلك ما بأيدينا من أحكام في شأن المسألة. هي أحكام مبهمة غير مؤسسة على قواعد وأدلة علمية بحتة.

وقد ذهب **بروكلمان** مؤكدًا أنّ جُل الأقوال التي ذهب إليها الباحثين في هذه المسألة، هي أقوال احتمالية، لا يقينية، فيقول في "**كتابه تاريخ الأدب العربي**": «ولا تستطيع رواية مأثورة، أن تقدم لنا خبرًا صحيحًا عن أولية الشِّعر، وإذا فلا يسعنا، إلّا أن نستخلص من الملابسات المشابهة عند شعوب بدائية أخرى، نتائج معينة يمكن تطبيقها أيضًا على العرب، إذا قدمت الأحوال الممكن التعرف عليها عند هؤلاء نقاطًا يعتمد عليها في ذلك».[3]

وهذا رأي نراه يحتمل الصواب نوعًا ما لأن جل الأقوال والآراء التي اعتمدها أصحابها في تحديد عمر أولية الشِّعر، هي عبارة عن احتمالات متشتتة لا تقوم على حجة يحتج بها، ولا على

[1]- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، 1998، ص.404.

[2]- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص.410.

[3]- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ج1، ط5، 1959، ص.44.

دليل هاد، وهنا يصدق قول محمد شاكر في دعوى استظهار الجاحظ في قوله:« تهجم على غيب بلا دليل هادٍ »[1].

وإنْ كان **بروكلمان** ينظر للأقوال في مسألة أولية الشِّعر الجاهلي، بوصفها مجرد احتمالات لا يقين فيها، فإن محمد شاكر ينظر لها بوصفها ادعاء " وذلك لأن هذه الدعوى في أولية امرئ القيس أو غيره، هي قبل كل شيء محتاجة في إثباتها إلى دليل مقنع غير مجرد الادعاء، الذي لا برهان عليه " فالعجب كل العجب بعد ذلك لمن يعتمد قول الجاحظ في أولية الشِّعر وعمره، وحداثة سنه، ولم يبق في أيدينا مما يعتمد عليه، إلا الذي لم يختلف عليه أحد، وهو أن من أقدم ما وصلت من شِّعر الجاهلية، شِّعر مهلهل وامرئ القيس وأقرانهما ".

إذًا محمد شاكر يعتمد تماما رأي الجاحظ، واستظهاره لأولية الشِّعر الجاهلي، ويرى أنّه لا ينفع في شيء، إلا تعبيرًا على أن المهلهل وامرئ القيس من أقدم الشُّعراء.[2]

إذًا نحن أمام قضية لا نملك عنها نصوصًا مدونة عن مبدأ الشِّعر عند العرب، وعن كيفية ظهوره وتطوره إلى بلوغه المرحلة التي وصلها عند ظهور الإسلام، بل إن العلماء لم يعثروا على شِّعر مدون بقلم جاهلي ليكون لنا نبراسًا يعيننا في تكوين صورة عن ذلك الشِّعر، وعن هيكله ومادته التي تكون منها، وكل ما نعرفه عن هذا الشِّعر مستمد من موارد إسلامية، أخذت علمها به، من أفواه الرواة، فلما جاء التدوين دون ما وعته الذاكرة، مما أخذته عن المتقدمين بالرواية، فثبت واستقر بعد أن كان المروي عرضة للتغيّير والتحريف، كلما تنقل من لسان إلى لسان، ومن وقت إلى وقت.[3]

بل يمكننا القول أخيرًا إن الشِّعر قد بدأ بداية متحررة، فلم يكن الإنسان في بادئ أمره بالشِّعر يتقيد بالوزن والقافية، وإنما كان يميز بينه وبين النثر بالنظم، الذي يجعله فيه وبالنبرات التي

---

[1]- محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، ص. 14.

[2]- المرجع نفسه، ص .14.

[3]- ينظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص.406.

يخرجها مخارج الغناء، ولهذا نجد المقطوعات الشِّعرية القديمة، التي وصلت إلينا، مدونة في كتابات مختلف الشعوب، لا تشبه الشِّعر المعروف إذ فيه تحرر وفيه اعتماد على الترنم والإسناد، وعلى فن الإلقاء، أما الاعتبارات الفنية المعروفة، فهي من عمل الشُّعراء المتأخرين، الذين أبدلوا الوزن محل الإلقاء، ووضعوا قواعد معينة في نظم الشِّعر، فلم تكن الأبيات الشِّعرية في الشِّعر القديم متساوية ولم تكن هناك قواف بالضرورة، حتى إنك لا تستطيع تمييز القطعة الشِّعرية على غيرها إلَّا بالإنشاد.[1]

خلاصة:

إن قضية أولية الشِّعر لا يمكن الجزم فيها بحكم، ولا سيما أن الأدلة عليها قليلة أو منعدمة تماما، كما أنَّنا أمام مسألة غامضة في شأن الشِّعر الجاهلي، ومراحل تطوره، فالبداية الحقيقية لقول الشِّعر مبهمة، والأحكام فيها غير مؤسسة على معايير علمية، من شأنها أن تزيل الغموض الذي شاب البدايات الأولى للشِّعر العربي القديم.

لذا فليس من اليسير أن نحدد بداية العصر الجاهلي بصورة يقينية، ويدل على ذلك أن بدايات الشِّعر الجاهلي الذي وصل إلينا، هي بديات ناضجة، وهذا يحيلنا إلى أن هناك بدايات سابقة، يمكن أن نسميها مراحل تبلور وتطور وارتقاء مر بها الشِّعر العربي، حتى بلغ مرحلة النضج الفني.

وبما أن العرب كانت سليقتهم الشفاهة لا غيرن، وكان ما يهزهم ويحرك مشاعرهم، هو القول الفصيح الرسين البليغ، فتناقلوا الجيد منه، فلم يصلنا من الشِّعر إلاّ الجيد، أما ضعيف الشِّعر الذي كانت تمثله تلك البدايات الأولى الساذجة، فلم يصلنا منها شيء، وإن وصلنا فهو قليل نادر.

وخلاصة القول فإن الآراء في شأن هذه القضية كثيرة مختلفة من رأي إلى أخر، والحديث في هذه القضية طويل متشعب، وليس هناك متسع للتعمق فيها لننتقل إلى مبحث أخر في قضية أخرى

[1]- ينظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص.406.

هي قضية الانتحال، وهي قضية بارزة، أثارها محمد شاكر في كتابه، الذي نحن بصدد دراسته " قضية الشِّعر الجاهلي في كتاب ابن سلام ".

II. قضية الانتحال:

1/ الانتحال عند القدامى:

سبق وأنْ ذكرنا أنَّ قضية الانتحال تناولها العديد من النقاد والباحثين منهم القدامى والمحدثين، وسنعرض في هذا العنصر قضية الانتحال عند أبرز النُّقاد القدامى بداية بابن سلام، الذي يعتبر صاحب أول كتاب في النَّقد، وهو كتاب "طبقات فحول الشعراء"، وقد تكلم في الانتحال وفصل أسبابه ودواعيه عند الرواة والقبائل، ومن القدامى أيضا الجاحظ الذي جاء بعده، وقد تحدث عن الانتحال في كتابه "الحيوان" وكتاب "البيان والتبيين".

2/ قضية الانتحال عند ابن سلام الجمحي:

ألّف ابن سلام كتابه طبقات الشُّعراء وذكر فيه « العرب وأشعارها والمشهورين المعروفين من شُعرائها وفرسانها، وأشرافها وأيامها، إذ كان لا يحاط شِّعر قبيلة واحدة من قبائل العرب، وكذلك فرسانها وسادتها وأيامها، ولا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب فبدأنا بالشِّعر».[1]

وذهب ابن سلام إلى أن :«الشِّعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه، ولا حجة في عربيته، ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج...وقد تناقله قوم من كتاب إلى كتاب، ولم يعرضوه على العلماء...وقد اختلف العلماء في بعض الشِّعر، كما اختلفت في بعض الأشياء، أما ما اتفق عليه فليس لأحد أن يخرج منه».[2]

والظاهر من قول ابن سلام أنه تنبه لقضية انتحال الشِّعر ورأى أنَّه تنبه لقضية الانتحال في الشّعر ورأى أن الشِّعر منه المصنوع والموضوع، وهو كثير لا خير فيه، ولا حجة في عربيته، حمله

[1]- محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، ص.05.

[2]- المصدر نفسه، ص.08.

الوضاعين من كتاب إلى كتاب، إلا أنهم لم يسلموا من ترصد الأعلام الثقات، وهم الذين وصفهم ابن سلام بالعلماء أي العلماء الثقاة.

وقد ردَّ ابن سلام سبب انتحال الشِّعر الجاهلي إلى عاملين:

عامل القبائل: ذلك أنّ القبائل كانت تزيد في أشعار شُعرائها، تعصبًا ومفاخرة بقبيلتها من الشّعر لكي تزيد من شأنها، **وعامل الوضاعين،** يقول ابن سلام:« لما راجعت العرب رواية الشِّعر وذكر أيامها ومآثرها، استقل بعض العشائر شِّعر شُعرائهم، وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم، وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار، فقالوا على ألسن شُعرائهم، ثم كانت بعد فزادوا في الأشعار».[1]

وابن سلام بعد إشارته إلى ما زادته القبائل في أشعار شُعرائها، يذهب إلى أن هناك طائفتين من الرواة كانت ترويان شِّعرا منتحلًا كثيرًا، وتنسبه إلى الجاهليين، الأولى تحسن نظم الشِّعر وصوغه، وتضيف ما تنظمه إلى الجاهليين، ومثل لها بحماد الراوية، والثانية هي طائفة لم تكن تحسن النظم، ولا صوغه على شاكلة الجاهليين، ولكنها كانت تحمل كل غثاء منه وكل زيف، وهم رواة الأخبار والسير والقصص من مثل ابن إسحاق راوي السيرة النبوية، وكلتا الطائفتين يرفضهما ابن سلام، إلا أن تكون الرواية من مصادر موثوقة عند رواة الثقاة.[2]

وذهب مبينًا إلى أنَّ الشِّعر فن يحتاج إلى ذكاء وفطنة ودقة وحكمة، فقال: «وللشِّعر صناعة وثقافة، يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات».[3]

والكلام هنا ظاهر بيِّن مقصده، خص به أهل العلم والرواية الصحيحة، الذين لهم السبق في رواية الشِّعر، ولهم ميزتهم الخاصة من الفطنة والذكاء والقدرة على معرفة الشِّعر الصحيح من الغثاء

[1]- الجمحي ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص.31.

[2]– ينظر: شوقي ضيف، العصر الجاهلي، الطبعة السابعة، القاهرة، دار المعارف، ب س، ص.165.

[3]- محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، ص.11.

المفتعل، الذي حمله الوضاعين، فنسبوا أشعارا لغير أصحابها، بل وزادوا في شّعر شاعر بعينه، فأكثروا من الشّعر المنحول، واخلطوه بشّعر صحيح، وهذا ما اعتبره العلماء الثقاة فسادًا للشّعر.

وكان ممن أفسد الشّعر وهجّنه وحمل كل غثاء منه محمد ابن إسحاق بن يسار و، كان من علماء النّاس بالسير، فقبل النّاس عنه الأشعار.[1]

ويقول ابن سلام عن الشّعر وضعف روايته: « فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد، وغزو فارس والروم، ولهت العرب عن الشّعر وروايته، ويستدل في ذلك يقول أبو عمرو بن العلاء في قوله:« ما ننتهي إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرًا لجاءكم علم وشّعر كثير».[2]

يُعلق محمد شاكر عن قول ابن سلام، فيقول:« ولا أشك في صحة هذه المقالة، إلا أني لا أرى الأمر كما زعم ابن سلام، أن العرب لهت عن الشّعر وروايته، بانشغالهم بالجهاد وغزو فارس والروم، فإنهم لم يلهوا عنه في أول الإسلام...مع وفرة الدواعي إلى اللهو عنه...وهذا اللهو عن الشّعر الذي زعمه ابن سلام، إنما أراد به أن يفسد معنى ما رواه هو بعد...في قلة ما بأيدي النّاس من شّعر».[3]

إذن فمحمد شاكر يرى أن العرب لم تلهو عن الشّعر وروايته، ولم تقعدهم عنه الأسباب والظروف، بل إنّهم « لم ينقطعوا عن روايته في زمن الغزوات والجهاد، فلمّا استقروا واطمأنوا بالأمصار، صار اهتمام النّاس بروايته أتم وأوسع ».[4]

فإذا كان ابن سلام يرى أن العرب لهت عن الشّعر وروايته بسب الغزوات وتشاغلهم بالحروب، فإن محمد شاكر يرى أنّ العرب ما لهت قط عن الشّعر وروايته في شتى الظروف، بل كانت

[1]- ينظر: الجمحي ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، 47.

[2]- المصدر نفسه، ص. 48.

[3]- محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، ص .92.

[4]- المصدر نفسه، ص. 93.

رواية الشِّعر في زمن الحروب ضعيفة ضيقة، وبعد الاستقرار كثرت وتوسعت، وانتشرت بين النّاس، ولو أن العرب لهت عن رواية الشِّعر أثناء الغزو، فلماذا لم تلهو عنه على عهد الرسول صل الله عليه وسلم في زمن الفتوحات.

بل إنَّ محمد شاكر ذهب أكثر من ذلك، وخلص إلى أنّ الشِّعر الجاهلي صحيح سليم من كل عيب، ويظهر ذلك في حد قوله: «وإذن فالشِّعر الجاهلي السليم المبرأ من العيب، ظل محفوظًا بالكرامة والصدق، حتى تلقاه العلماء إلى أواخر المائة الأولى من الهجرة، وكان قبل أن تفتح أبواب العلوم العربية في عهدها المبكر، منصوبا للتذوق البصير، لأعلى البيان الإنساني وأسماه، وكان الناس يتلقونه جوادًا سابقًا»[1]، كما وصفه ابن مقبل:

إِذَا مِتُّ عَنْ ذِكْرِ القَوَافِي فَلَنْ تَرَى لَهَا تَالِياً مِثْلَي أَطَبَّ وأَشْعَرَا

وأَكْثَرَ بَيْتاً مَـــارِداً ضُرِبَـــتْ لَهُ حُزُونُ جِبَالِ الشِّعْرِ حَتَّى تَيَسَّرَا[2]

بينما هناك من الأدباء والمؤلفين الذين تعرضوا لكلام ابن سلام في الشِّعر الموضوع والعناية بتمحيص القضية، ونذكر على سبيل المثال طه أحمد إبراهيم في كتابه "**تاريخ النقد الأدبي عند العرب**"، يقول:« والكلام في الشِّعر الموضوع كان طبيعيًا جدًا في عصر ابن سلام في كادت تنتهي فيه الرواية، وأقبل فيه العلماء على تدوين الشعر ليسلموه إلى الأجيال المقبلة ».[3]

[1]- محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، ص.122.

[2]– المصدر نفسه، ص.122.

[3]- طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص.77.

ويشيد طه أحمد إبراهيم بجهود ابن سلام في القضية، فإنّه يبين أنّ ابن سلام ليس الوحيد في الميدان، وأن تلك الفكرة ذاعت قبل الإسلام عند غيره من معاصريه « لكن ما ميز ابن سلام أنّه كان أشدهم تحرجا من هذا الشِّعر، وأنفذهم صوتا في هذا المقام ».[1]

ويضيف أيضًا أنّ ابن سلام يعرض القضية « فيحسن العرض، ويبرهن عليها، فيجيد ويلتمس لها الأسباب المبرهنة، ويطبقها على من يطبقها عليهم من الشُّعراء الجاهليين »[2].

ويشير طه أحمد إبراهيم محاولًا تعليل عناية ابن سلام بالقضية، وبيان السبب الدافع له في دراسة هذه القضية، فيقول: «أراد أن يحمل الذين يدونون الشِّعر على التقنية، ويدعوهم ألا يتركوا للخلف إلا الثابت الصحيح، وأراد أن يُشعر الآتين بما يجب عليهم من الحذر والتبصر فيما يسند إلى الجاهليين، بل أراد أبعد من هذا، أراد خدمة الروح العلمية، بإسناد كل قول إلى صاحبه، وكل شِّعر إلى عصره »[3].

كما ترى من خلال هذه الأقوال أنّ طه أحمد إبراهيم معجب بأسلوب ابن سلام، ويشيد بجهوده في طرحه للقضية، لكنّه في موضع آخر يرصد بعض الأخطاء التي ارتكبها ابن سلام في نسبة الأبيات الشِّعرية إلى أهلها، ويظهر ذلك في قوله:« وليس كل ما جاء في كتاب طبقات فحول الشُّعراء بالذي يسلمه الباحثون...فأغلب الظنّ أنَّ ابن سلام وهو يقرر نظرية الشِّعر الموضوع، ويؤاخذ عليه العلماء وقع في مثل ما عابه على ابن إسحاق، فأضاف إلى بعض الجاهليين ما ليس لهم، وأورد شِّعرًا جاهليًا لا يطمأن إليه، فهذه الأبيات التي أوردها في مقدمة كتابه أنها من قديم الشِّعر الصحيح، وأضافها إلى المستوغر ابن ربيعة أو إلى أعصر بن سعد بن قيس بن غيلان...هذه الأبيات لا بد أن تؤخذ بحذر».[4]

---

[1]- طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص.77.

[2]- المرجع نفسه، ص.77.

[3]- المرجع نفسه، ص.78.

[4]- المرجع نفسه، ص.86.

ويعود مرة ثانية بالإشادة بجهود ابن سلام في نشأة قضية الانتحال، مبرزًا أهم مما تميز به منهج بحثه في هذه القضية، يقول:« واضح جدًا أثر ابن سلام في تدوين الحقائق العلمية الشائعة في عصره، فهو لا يكتفي بنظرة ولا برأي ولا بكلام مفكك منبث، بل يلم بالفكرة من أطرافها، ويأخذها أخذ العلماء بالنظر والتحليل »[1].

ويضيف أيضًا « وبون شاسع بين كلمة يقررها رجل كالمفضل الظبي في انتحال الشِّعر، وبين هذا البحث الفسيح العميق، الذي قام به ابن سلام ».[2]

وخلاصة القول بون شاسع بين ما ذهب إليه محمود شاكر في قضية الانتحال عند ابن سلام، وما ذهب إليه طه أحمد إبراهيم فإنْ اتفقا في معالجة الموضوع نفسه، فإن زاوية النظر تختلف عند كل منهما ، كلٌ حسب منهجه ومذهبه.

3/ قضية الانتحال عند الجاحظ:

يعد الجاحظ من النُّقاد الذين عالجوا قضية الانتحال بعد ابن سلام، في التمييز بين الشِّعر الصحيح والمنحول، واعتمد في ذلك على شهادة الرواة، وعلى مبدأ تفاوت الشّعر، شأنه في ذلك شان ابن سلام، ومثال ذلك أنه يروي بيتًا منسوبًا لاوس بن حجر في قوله:

فَانقَضَى كَالدُرى يَتبعهُ نَقَع يثورُ تَخَالهُ طُنب

يعلق الجاحظ على هذا البيت بقوله: « وهذا الشِّعر ليس يرويه لأوس، إلا من لا يفصل بين شِّعر أوس بن حجر وشريح بن أوس».[3]

[1]- طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص .81.

[2]- المرجع نفسه، ص.82.

[3]- الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر، الحيوان، ص.279.

ويضيف الجاحظ أدلة يثبت بها الانتحال، والتي ذكرها ابن سلام دليلًا جديدًا، وهو دليل واضح بيّن في الشِّعر نفسه، وذلك فيما يروى للأفوه الأودي:

كَشِهابِ القَذفِ يَرميكُم بِهِ فارِسٌ **في** كَفِّهِ لِلحَربِ نارُ

وللجاحِظ في هذا البيت تعليق يقول: «وبعد فمن أين علم الأفوه أن الشهب التي يراها، إنما هي قذف ورجم، وهو جاهلي ولم يدع هنا أحد قط إلا المسلمون».[1]

ويتبيّن لنا من خلال تعليق الجاحِظ على بيت الأفوه الأودي، أنه لجأ إلى تحليل البيت تحليلًا داخليًا، ورأى أنَّ البيت يظهر عليه تأثير الإسلام، ذلك أن القرآن الكريم أشار إلى أنَّ الشهب رجم للشياطين، ولم يكن للعرب في الجاهلية أن يعلم هذا العلم، ومن هذا التحليل الداخلي للشِّعر استنتج الجاحِظ أن هذا البيت منحول.

ويعلق أيضًا على بيتين آخرين في حد قول الشّاعر:

لا تَحسَبَنَّ المَوتَ مَوتَ البِلى كِلاهُما مَوتٌ وَلَكِنَّ ذا

فَإِنَّما المَوتُ سُؤالُ الرِجال أَشَدُّ مِن ذاكَ لِذُلِّ السُؤال

يقول الجاحِظ معلقًا:« وأنا ازعم أن صاحب هذين البيتين لا يقول شِّعرًا أبدًا، ولولا أدخل في الحكم بعض الفتك، لزعمت أن ابنه لا يقول شعرًا أبدًا»[2].

ويقول الجاحظ في شأن أُناسًا كانوا يبرمجون أشعارًا ويستسقطون من رواها، لينسبوها إلى غيرهم، ويذكر أن من له بصر بالشِّعر يعرف الجيد منها، وفي أي زمان كان، يقول الجاحظ: «وقد رأيت أناسًا منهم يبرمجون أشعار المولدين، ويستسقطون من رواها، ولم أرى ذلك قط، إلا في رواية

[1]- الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر، الحيوان، ص.ص280-281.

[2]- المصدر نفسه، ص.131.

للشِّعر غير بصير بجوهرها ما يروى، ولو كان له بصرٌ، لعرف موضع الجيد ممن كان، وفي أي زمان كان».[1]

ويبدو أنّ الجاحظ أكمل منهج ابن سلام في التمييز بين الشِّعر المنحول والشِّعر الصحيح، وأضاف إلى الوسائل التي ذكرها ابن سلام بعض الأدلة الجديدة، منها الدليل الواقع في الشِّعر المنحول نفسه، وكان يوازن بين معنى البيت وبينما كان معروفا في الجاهلية، أو غير معروف، ومن خلال هذه الموازنة ،كان يحكم على الشِّعر إذا كان منحولًا أو غير منحول.

وإلى هنا فإن قضية الانتحال بخاصة وقضايا الشِّعر الجاهلي بعامة، لم تقتصر عند ابن سلام والجاحظ فقط، بل تناولها العديد من النّقاد أمثال ابن قتيبة وابن طباطبا وغيرهم، ونكتفي بهذين النّاقدين، لأنّه ليس عندنا متسع للتفصيل في قضية الانتحال عند كل القدامى أوجلهم، لننتقل إلى المحدثين منهم العرب والمستشرقين، وكيف تناولوا هذه القضية؟، وهل ساروا على نهج القدامى؟، أم هناك جديد في دراساتهم وأرائهم؟.

4/ قضية الانتحال في الشِّعر الجاهلي عند المحدثين العرب والمستشرقين:

بادئ ذي بدء نبدأ قضية الانتحال في الشِّعر الجاهلي عند المستشرقين، ثم نفصل فيها عند المحدثين العرب، ولعلّ ما دفعنا بالبدء بالمستشرقين هو أنهم كان لهم قدم الصدق في هذه القضية، وخاصةً بما يتعلق بالتشكيك في صحة الشِّعر الجاهلي، فقد كتبوا في شأن هذا الموروث العربي، وألفوا نصوصًا وكُتبًا، فخلقوا حولهُ ضلال من الشكوك والأكاذيب، روجت كثيرًا من الباطل، طمعًا في أن يستند عليها الواهمون، أصحاب العقول الصاغية، ولا نجزم بالقول أنَّ جل المستشرقين، شككوا في صحة الشِّعر الجاهلي، بل هناك من المستشرقين، اتسموا بالموضوعية، في البحث في مضان قضية الشِّعر الجاهلي، وأغلبهم من الألمان، وخلصوا في بحوثهم، إلى إثبات صحة الشِّعر الجاهلي .

[1]- الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر، الحيوان، ص.35.

– المستشرقين:

يُعدُ "**نولدكه**" من أوائل المستشرقين، الذين تناولوا قضية الانتحال في الشِّعر الجاهلي، سنة 1864م، وبعد ثماني سنين تطرق للموضوع المستشرق "**آلوارد**" في مقدمة دواوين الشُّعراء الستة الجاهليين، منتهيًا إلى أنَّ عددًا قليلًا من قصائد هؤلاء الشُّعراء يُمكن التسليم بصحته، مع ملاحظة أن شكًا لا يزال يُلازِمُ هذه القصائد الصحيحة، في ترتيب ألفاظها، وأبياتها، وتابع كثير من مستشرقين آلوارد في موقفه الحذر، من قبول كل ما يُروى للجاهليين، ومنهم: "**موير**" و"**باسيه**" و"**بروكيلمان**" وغيرهم[1].

أمَّا من أثار قضية الانتحال من المستشرقين هو مرجليوث، والذي أحدث ثورة عارمة صحة الشِّعر الجاهلي، فقد رفض الشِّعر الجاهلي جملةً، وذهب أن الشِّعر الجاهلي كتب بعد نزول القرآن.

ذهب مرجليوث في استدلاله على عدم صحة الشِّعر الجاهلي بمجموعة من الأدلة نلخصها فيما يلي كما وردت عند ناصر الدين الأسد في كتابه " **مصادر الشعر الجاهلي** "

– نفيه أنْ تكون الرواية الشفوية هي التي حفظت الشِّعر الجاهلي، وأنَّ حفظ الأدب يكون بالتدوين والكتابة للجاهليين، لم يعرفوا الكتابة، ليؤكد ان هذا الشِّعر الذي سمي بالشِّعر الجاهلي، نظم في مرحلة زمنية تالية للقرآن الكريم.[2]

– ثم ذهب إلى الحديث عن الرواة من علماء القرنين الثاني والثالث الهجريين، فيذكر حمادًا وجنادًا وخلف الأحمر، وأبا عمر بن العلاء والأصمعي، وأبا عمرو الشيباني وأبا إسحاق والمبرد، ثم

[1]– ينظر: شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص.165.

[2]– ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ط7، بيروت، دار الجبل، 1998، ص.376.

أضاف إلى ذلك أراء هؤلاء الرواة العلماء بعضهم في بعض، فقال أنَّ هؤلاء العلماء، لم يكن يوثق بعضهم بعضًا، ليذهب في ذلك أنَّ هذا الشِّعر كاملًا مستمرًا.[1]

- ومن الأدلة أيضًا التي استدل بها مرجليوث، ما ورد في حد قوله: «أن هذا الشِّعر الجاهلي لا يمثل الجاهليين الوثنيين، ولا من تنصروا منهم، فأصحابه مسلمون، لا يعرفون التثليث المسيحي، ولا الآلهة المتعددة، إنما يعرفون التوحيد والقصص القرآني، وما فيه من كلمات دينية إسلامية مثل الحياة الدنيا ويوم القيامة، والحساب وبعض صفات الله»[2].
- ويشير أيضًا إلى اللّغة فيلاحظ أنها لغة ذات وحدة ظاهرة، وهي نفس لغة القرآن الكريم، التي أشاعها في العرب، فيقول:« ولو أنَّ هذا الشِّعر كان صحيحًا لا مثل لنا لهجات القبائل المتعددة في الجاهلية، كما مثل لنا الاختلافات بين لغة القبائل الشمالية العدنانية، واللغة الحميرية في الجنوب»[3].

ومن النقاط أيضًا ما ذهب إليه في شأن موضوعات القصائد، مستنتجًا منها أن اتفاق القصائد الجاهلية في موضوعاتها، يدل على أنّها نظمت بعد نزول القرآن الكريم.

ومن المستشرقين الموضوعيين من تصدى إلى الحديث عن صحة الشِّعر الجاهلي، وردوا فيما كتبوا ما ذهب إليه مرجليوث، وفندوا أدلته وافتراضاته، مثل «بروينلش ولايل واحتج عليه الأخير في مقدمته للمفضليات بأنَّ من وضعوا هذا الشِّعر – على فرض التسليم بذلك- كانوا يحاكون نماذج سابقة ن وتقاليد أدبية موروثة، قلدوها، وحاكوها، ونفس هذه المحاكاة تدل على وجود أصل كانوا يحاكونه».[4]

[1]- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص.377.

[2]- المرجع نفسه، ص.376.

[3]- المرجع نفسه، ص.376.

[4]- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص.ص.167-168.

العرب المحدثين: مصطفى صادق الرافعي، طه حسين.

– مصطفى صادق الرافعي

ذهب العديد من الباحثين إلى أوّل من بحث في هذا الموضوع من أدباء العرب المحدثين، هو مصطفى صادق الرافعي في كتابه " **تاريخ آداب العرب** " الذي صدر سنة 1911م، وقد لخص ناصر الدين الأسد أرائه في هذه القضية في كتابه "**مصادر الشعر الجاهلي**" وسنوردها فيما يلي:

- تكثر القبائل لتعتاض مما فقدته بعد أن راجعت الرواية، وخاصة القبائل التي قلت وقائعها وأشعارها ن وكانت أولاها قبيلة قريش، فقد وضعت على حسان أشعارًا كثيرة.[1]
- شِّعر الشواهد وهو النوع الذي يدخل فيه أكثر الموضوع لحاجة العلماء إلى الشواهد في تفسير الغريب ومسائل النحو، وشِّعر الشواهد في اصطلاح الرواة على ضربين، شواهد القرآن، وشواهد النحو.[2]
- الشواهد التي كان بعض المعتزلة والمتكلمين، يولدونها للاستشهاد بها على مذاهبهم.[3]
- الشواهد على الأخبار، فلما كثر القصاصون، وأهل الأخبار اضطروا من أجل ذلك أن يصنعوا الشِّعر لما يلفقونه من الأساطير، حتى يلائم بين رقعتي الكلام، ويصدر تلك الأساطير من أقرب الطرق إلى أفئدة العوام، فوضعوا من الشِّعر على آدم ودونه من الأنبياء، وأول من أفرط في ذلك محمد ابن إسحاق.[4]

[1]– ينظر: ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص.379.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص.378.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص.378.

[4]– ينظر: المرجع نفسه، ص.379.

- الاتساع في الرواية، كان الرواة يتسعون في رواياتهم بسب السباق بينهم، فكان يضعون على فحول الشُّعراء قصائد لم يقولوها، ويزيدون في قصائدهم[1].

ويعلق ناصر الدين الأسد على الرافعي فيقول:« وهكذا نرى أنَّ الرافعي قد دار مع القدماء من العرب في فلكهم، وسرد ما ورواه من أخبار، وما انبث في كتبهم من أحاديث، وحصر الموضوع في الدائرة نفسها، التي حصره فيها القدماء، لم يحمل نصًا أكثر مما يحتمل، لم يعتسف الطريق اعتسافًا إلى الاستنتاج والاستنباط، ولا إلى الظن والافتراض، ولم يجعل من الخبر لواحد قاعدة عامة، ولا من الحالات الفردية نظرية شاملة»[2].

- طه حسين:

الدكتور طه حسين الملُقب بعميد الأدب العربي، أو كما لقّبه محمود محمد شاكر بأكبر المشككين، وقد تحدث هو الآخر عن الشِّعر الجاهلي، وقضية الانتحال، فألّف كتابه بعنوان "**في الأدب الجاهلي**"، الذي أثار جدلًا كبيرًا، جعله يُعد من أشهر كتب القرن العشرين، ففيه قال المؤلّف بعدم شرعية نسبة " **الشعر الجاهلي** " إلى عصره، وأنّه منتحل من عصر صدر الإسلام.

أوّل ما نقف عليه هو ما انتهى إليه طه حسين في شأن الشِّعر الجاهلي وانتحاله، « أنّ الكثرة المطلقة مما نسميه أدبًا جاهليًا، ليست من الجاهلية في شيء، وإنّما هي منحولة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهوائهم، أكثر مما تمثل حياة الجاهليين »[3].

إذن فطه حسين يرى أنّ الشِّعر الذي بين أيدينا لا يمثل عصره الجاهلي، ولا يمثل حياة الجاهليين، فهو يجزم بالحكم أنَّه منتحل بلا ريب من صدر الإسلام، كما أشار أنّه يمثل حياة المسلمين، لا حياة الجاهليين.

---

[1]- ينظر: ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص.379.

[2]- المرجع نفسه، ص.380.

[3]- طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص.ص. 71-72.

ويضيف أيضًا « إنّ هذا الشِّعر الذي ينسب إلى امرئ القيس، أو إلى الأعشى، أو إلى غيرهما من الشُّعراء الجاهليين، لا يُمكن من الوجهة اللغوية والفنية، أنْ يكون لهؤلاء الشُّعراء، ولا أن يكون قد قيل وأُذيع قبل أن يظهر القرآن »[1].

ومذهب طه حسين في شكِّه في صحة الشِّعر الجاهلي، له دوافع وأسباب منها، «أنَّه لا يمثل الحياة الدينية، والعقلية، والسياسية، والاقتصادية للعرب الجاهليين»[2].

فالشِّعر الذي نسميه شعرًا جاهليًا، لا يمثل الحياة الجاهلية في كل جوانبها، فبالنسبة للحياة الدينية رأى أنّ:« هذا الشِّعر الذي يضاف إلى الجاهليين، يُظهر لنا حياة غامضة جافة بريئة أو كالبريئة من الشعور الديني القوي، والعاطفة الدينية المتسلطة على النفس، والمسيطرة على الحياة العلمية...أو ليس عجبًا أنْ يعجز الشِّعر الجاهلي كله عن تصوير الحياة الدينية للجاهليين، وأمّا القرآن فيمثل لنا حياة دينية قوية، تدعو أهلها إلى أنْ يجادلوا عنها ما وسعهم الجدال »[3].

ويُشير إلى الحياة العقلية، فيقول:« أفتظن قومًا يجادلون في هذه الأشياء جدالا، يصفه القرآن بالقوة، وشهد لأصحابه بالمهارة، أفتظن هؤلاء القوم من الجهل والغباوة والغفلة والخشونة، بحيث يمثلهم لنا هذا الشِّعر الذي يُضاف إلى الجاهليين؟ ،كلا! لم يكونوا جُهالًا ولا أغبياء، ولا غلاظًا، ولا أصحاب حياة خشنة جافية، وإنّما كانوا أصحاب علم وذكاء، وأصحاب عواطف رقيقة وعيش فيه لين ونعمة».[4]

أما الحياة السياسية فيرى طه حسين أن العرب «كانوا على اتصال بمن حولهم من الأمم، بل كانوا على اتصال قوي قسمهم أحزابًا، وفرقهم شيعًا، أليس القرآن يُحدثُنا عن الروم، وما كان بينهم

[1]- طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص.73.
[2]- المرجع نفسه، ص.88.
[3]- المرجع نفسه، ص.80.
[4]- المرجع نفسه، ص.81.

وبين الفرس من حرب...أليس في القرآن سورة تسمى "**سورة الروم**"، لم يكن العرب إذن كما يظن أصحاب هذا الشِّعر الجاهلي معتزلين »[1].

والظاهر فيما ذهب إليه طه حسين في البرهنة على عدم صحة الشِّعر الجاهلي، أنَّه كان يقارن بين الخطاب القرآني والخطاب الشِّعري، لينتهي في الأخير أنّ ما ورد في القرآن عن الجاهليين، لا يوافق ما يحمله الشِّعر الذي ينسب إليهم.

وتظهر المقارنة في حد قوله في شأن الحياة الاقتصادية « وأنت إذا قرأت القرآن رأيت أنَّه يقسم العرب إلى فريقين آخرين، فريق الأغنياء المستأثرين بالثروة، والمسرفين في الربا، وفريق الفقراء المعدمين...فالتمس لي هذا أو شيئًا كهذا في الشِّعر الجاهلي، وحدثني أين نجد في هذا الأدب شِّعره ونثره، ما يُصور لك نضالًا ما بين الأغنياء والفقراء.[2]

وبجدر بالبحث أنْ يطرح سؤال في مقام هذا المقال، الذي ذهب فيه طه حسين إلى أنَّه لا يوجد في الشِّعر ما يدل على أنّ هناك نضال قائم بين أفراد المجتمع الجاهلي، ونص السؤال هو " ماذا يمثل شعر الصعاليك؟".

وكما يقال " فهم السؤال نصف الجواب "، بل إنّ لفظة الصعاليك هي الإجابة بعينها، فإذن حدثني أليس شِّعر الصعاليك كان يمثل حياة الصعاليك، وخروجهم عن القبيلة، أليس هذا بنضال، بل إنّه أكثر من ذلك، فهو الثورة بحد ذاتها، فكيف تسنى لطه حسين أن يغفل هذا الجانب، ويجزم بالحكم بعدم وجود ما يمثل النضال بين الفقراء والأغنياء في الشِّعر الجاهلي، أليس الفقراء هم الذين كان يتصدرهم الصعلوك عروة ابن ورد، ويُدافع عنهم، بل إنَّه كان يسرق أموال الأغنياء ويعطيها للفقراء، حدثني هل هذا لا يرتقي بأن نسميه نضالًا، أوليس هذا الإغفال سطو واحتيال، على ثقافتنا

[1]- طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص. ص 82-83.

[2]- المرجع نفسه، ص.84.

الأدبية العربية، التي طال ما استمد ثرائها من أعماق جذورها القديمة الأزلية، بما فيها الشِّعر الجاهلي وغيره من الفنون.

ومن الدوافع أيضًا التي ساقت طه حسين للشك في صحة الشِّعر الجاهلي، ما انتهى إليه في حديثه عن حياة العرب الجاهلية « فهذا الشِّعر لا يُعني إلا بحياة الصحراء والبادية، وهو لا يعني بها من نواحٍ لا تمثلها تمثيلا تاماً، فإذا عرض لحياة المدر، فهو يمسها إلا مسًا رقيقًا، ولا يتغلغل في أعماقها، وما هكذا نعرف شِّعر الإسلام، ومن عجيب الأمر أنّا لا كاد نجد في الشِّعر الجاهلي ذكر البحر أو الإشارة إليه...أما القرآن الكريم فيمن على العرب بأنَّ الله قد سخر لهم البحر، وبأنَّ لهم في هذا البحر منافع كثيرة»[1].

أمّا عن اختلاف اللغة فيذهب طه حسين إلى أنَّ هذا الشِّعر « بعيد كل البعد عن أن يمثل اللغة العربية في العصر الذي يزعم الرواة أنَّه قيل فيه »[2].

« وإنَّ هناك خلافًا قويًا بين لغة حمير، وهي العرب العاربة، ولغة عدنان، وهي الغرب المستعربة »[3]، مستندًا في ذلك إلى أمرين الأول قاله أبو عمر وابن العلاء " ما لسان حمير بلساننا، ولا لغتهم بلغتنا، وثاني الأمور الاختلاف الذي أثبته البحث للحديث بين اللغة التي يصطنعها النّاس في جنوب البلاد العربية، واللغة التي كانوا يصطنعونها في شمال هذه البلاد.

ولم يذهب طه حسين بعيدًا في شكه، سوى اللّف والدوران حول الشِّعر نفسه، فمن المقارنة والموازنة بينه وبين القرآن، إلى التمحيص والتفتيش في لغته، ثم إنَّه يجتلب دافعا أخرا وهو اختلاف اللهجات.

[1]- طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص. 87.
[2]- المرجع نفسه، ص88.
[3]- المرجع نفسه، ص.ص، 89-90.

فيُشير إلى أنّ «الرواة مجمعون على أن قبائل عدنان، لم تكن متحدة اللغة ولا متفقة اللهجة، قبل أن يظهر الإسلام، فيقارب بين اللغات المختلفة، ويزيل كثيرًا من تباين اللهجات...»[1]. منتهيًا في ذلك أننا بين اثنتين « إمّا أن نؤمن بأنّه لم يكن هناك اختلاف بين القبائل العربية من عدنان وقحطان في اللغة، ولا في اللهجة، ولا في المذهب الكلاسيكي، وإما أن نعترف بأن هذا الشِّعر، لم يصدر عن هذه القبائل، وإنّما حمل عليها بعد الإسلام، حملًا ولحق إلى التالية أجمل...»[2].

فكما ترى فإن طه حسين ينفي صحة الشِّعر الجاهلي نفيًا تامًا، وأنَّه منحول موضوع، فهو لم يصلنا إلا عن طريق الرواية الشفهية، وأن ما حمله الرواة، لا يمكن التسليم بصحته، ويَظهر شكه في الرواية الشفهية جليًا، في حد قوله «وحسبي أن شِّعر أُمية بن أبي الصلت لم يصل إلينا، إلا من طريق الرواية والحفظ، لأشك في صحته، كما شككت في شِّعر امرئ القيس والأعشى وزهير...»[3].

وقضية الانتحال عند طه حسين فيها كلام كثير، طبقا لتعدد الدوافع والأسباب، التي أراد أن يثبت بها شكه، وليس هناك متسع للتفصيل فيها تفصيلًا دقيقًا عميقًا، لنكتفي بخلاصة ختم فيها طه حسين كلامه وشكه، بقوله :« أمّا نحن فمطمئنون إلى مذهبنا، مقتنعون بأنّ الشِّعر الجاهلي أو كثرة هذا الشّعر الجاهلي، لا تمثل شيئًا، ولا تدل على شيء، إلا ما قدمنا من العبث والكذب والانتحال، وإنّ الوجه إذا لم يكن بُدّ من الاستدلال بنصٍ على نص، إنّما هو الاستدلال بنصوص القرآن على عربية هذا الشِّعر، لا بهذا الشِّعر على عربية القرآن»[4].

يُعلق محمد شاكر على هذا القول فيقول: « ويؤسفني أنْ أقول أنّ صدر كلامه عن بطلان دلالة الشِّعر الجاهلي على شيء دال على تقصير محزن، في الاطلاع على هذا الشِّعر وعلى سوء تذوقه، ومع ذلك فقد بيّنت مرارًا أنَّه قد نقضَ هو نفسه مقالته هذه، بما كتبه بعد ذلك عن بعض

[1]- طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص.103.

[2]- المرجع نفسه، ص104.

[3]- المرجع نفسه، ص . ص159.

[4]- محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، ص122.

الشِّعر الجاهلي، وأما مسألة الاستدلال، التي ذكرها فإن كان يريد بقوله " عربية القرآن "، " وعربية الشعر الجاهلي "...فإن الاستدلال بالشِّعر الجاهلي على بعض ما في القرآن، وبالقرآن على بعض ما في الشِّعر الجاهلي، من نحو وصرف ولغة، إنما هو أمر هين لا خطر له بحثه...وإنْ كان يريد بقوله " عربية القرآن " أن يستدل بعربية الشِّعر الجاهلي أنّ القرآن عربي مبين، فأظنه محال أن يجد امرأً عاقلًا أو غير عاقلا...من العرب والمسلمين من فعل ذلك، أو فكر فيه، إلا أن يكون عن أعجميًا مستشرقًا من أهل زماننا فعله أو كتبه»[1].

وانتهى محمد شاكر إلى أنّها كلمة مطرحة لا وزن لها، ولا خير فيها، مبنية على مغالطة مزيفة من ألفاظ مركبة بين غامض ولا حقيقة، ومع ذلك فإنّها صدعت في بعض العقول صدعًا بائنًا، وأفسدت ما كان خليقًا أن يسلم ويصحح.[2]

وخلاصة القول أنَّ طه حسين تأثر بأستاذه مرجليوث، في دعوى شكه في صِحة الشِّعر الجاهلي، وألّف كتابه على نحو ما ذهب إليه أستاذه في شكه، وكما ترى نجح هذا المستشرق الإنجليزي، الخبيث والحاقِد، في صفعنا بأيدينا، ونصب فخاخٍ من بني جلدتنا، فكان طه حسين وكتابه حجةٌ علينا، في ضرب ثقافتنا في أعماقِها، والمساس بديننا، وبالتالي سلخنا من جذورنا أيما سلخ، وقد نشب جراء هذا معارك وخصومات أدبية، ومن بين هذه الخصومات، ما أثاره محمد شاكر، وسنوردها ونفصل فيها في فصل لاحق.

[1]- محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، ص.123.

[2]- ينظر المصدر نفسه، ص123.

III. من أبرز خصومات محمد شاكر الأدبية:

1/ بينه وبين طه حسين:

لعلَّ أول خصومة بين محمد شاكر وطه حسين، كانت في مقتبل عمر شاكر في السابعة عشر من عمره، حيث كان طالبًا في الجامعة، وأستاذه طه حسين أستاذًا محاضرًا آنذاك، يبلغ من العمر 35 سنة، وكانت هذه الخصومة جراء سطو طه حسين على آراء مرجليوث في الشِّعر الجاهلي.

والخصومة الثانية كانت بعد أن قارب الثلاثين من العمر، وكانت تلك الخصومة بينه وبين طه حسين في دفاعه عن المتنبي، حين ألّف طه حسين كتاب مع المتنبي، وشك في نسبه، وسنوجز هاتين الخصومتين فيما يلي:

- قضية السطو:

مفاد هذه الخصومة أنّ طه حسين سطا سطوًا كبيرًا على آراء مرجليوث في مسألة الشِّعر الجاهلي، ولم ينسب طه حسن ولو كلمة واحدة لمرجليوث، وفي ذلك يقول محمد شاكر :«وكل يوم أقول لنفسي عسى ولعلّ، وأتوقع أن يذكر طه حسين اسم مرجليوث مرة، وينسب إلى الرجل رأيه في مسألة الشِّعر الجاهلي مجرد إشارة، وذهب توقعي باطلًا هذرًا ل، م نسمع منه إلا انتهى بي البحث، ثم انتهى بي البحث ...»[1].

وأشار محمد شاكر إلى كل ما كان يقرأه أستاذه في مسألة الشِّعر الجاهلي في محاضراته، كان موجودًا عنده في المتن لصاحبه مرجليوث «وكل شيء يقوله طه من هذا " المتن" وحده يبدأ وإلى " المتن" وحده ينتهي يا لحيرتي وعجبي! »[2].

[1]- عادل سليمان، جمهرة مقالات الأستاذ محمد شاكر، مكتبة القانجي، ب.ط، ب س، ص. 1104.

[2]- المرجع نفسه، ص .1104.

وازدادت حيرة محمد الشاكر وتعجبه من أستاذه، ويوم تفاقم أمر قضية السطو في نفسه، ولم تدع لقلبه سكينة، ولم يستطع قيض لسانه، وهو يسمع محاضرات أستاذه، وهو يعلم أنّها مسلولة من صاحبها المستشرق مرجليوث، فوقف يجادل أستاذه في " المنهج" و" الشك" حتى انتهره ثم استدعاه، فدخل عليه فعاتبه، وهو صامت لا يستطيع الرد.

ولم يستطع أن يُكاشِفه أنّ محاضراته التي يسمعها وزملائه مسلوخة كلها من مقالة مرجليوث، لأنّها مكاشفة جارِحة من صغير إلى كبير، ولكن كان على يقين، أنّ أستاذه يعلم أنّه على علم بهذا السلخ الجائر[1].

ومن يومئذٍ لم يكف محمد شاكر عن مناقشة أستاذه في المحاضرات بغير هيبة، ولم يكف أستاذه عن استدعائه بعد المحاضرات ولم يكف شاكر أيضًا عن إذاعة هذه الحقيقة، التي كتمها في حديثه مع طه حسين، وهي أنَّه سطا سطوًا كريهًا على مقالة المستشرق مرجليوث، وكثر كلامه عن طه نفسه، وعن القدر الذي يعرفه من الشِّعر الجاهلي، وعن أسلوبه الدال على ما يقوله، وأشتد الأمر حتى تدخل في ذلك، بعض الأساتذة كالأستاذ " **نلينو**" والأستاذ " **جويدي**" من المستشرقين، وكان يصارحهما محمد شاكر بالسطو، وطال الصراع الغير المتكافئ بينه وبين طه حسين زمانًا، إلى أن جاء اليوم الذي عزم في أن يفارق مصر كلها لا الجامعة وحدها [2].

وكما ترى فهذه واحدة من أولى الخصومات، التي كانت بين شاكر وأستاذه طه حسين، وسنعرض خصومةً أخرى في قضية الشك في نسب المتنبي.

[1]- ينظر: عادل سليمان جمال جمهرة مقالات الأستاذ محمد شاكر، ص. 1105.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص. 1106.

– قضية شك طه حسن في نسب المتنبي:

ألّف طه حسين كتابًا بعنوان " مع المتنبي" سنة 1937م، تناول فيه شخصية المتنبي، وخلُص بالقول بأنَّ «مولد المتنبي كان شاذًا، وأنَّه أدرك هذا الشذوذ، وتأثر به في سيرته كلها»[1].

وحجته في ذلك أنك إذا قرأت ديوان أبي الطيب المتنبي مستأنسًا متمهلًا لا تجد فيه ذكرًا لأبيه، وأنك تجده لم يمدحه ولم يفتخر به، ولم يرثه، ولم يظهر الحزن عليه حين مات، وهذا كاف في تشكيك العلماء في نسب أبي الطيب، وهو كاف في اليقين بأنّ المتنبي لم يعرف أباه[2].

ولقد كتب محمود محمد شاكر فصولًا مطولة في نقد الكتاب، مفندًا أطروحة طه حسن "شكه في نسب المتنبي" وسنلخصها فيما يلي:

يرى محمد شاكر أنّ هذه الأسباب التي دفعت طه حسين الشك في نسب المتنبي، لا يمكن التسليم بها، وليست حُجة مقنعة «أيكون لزامًا على كل شّاعر أن يمدح أباه، وأن يفتخر، وأن يرثيه، فإن لم يفعل الشّاعر ذلك، فهو شاعر لا يعرف أباه»[3].

وذهب إلى أن هناك فئة كثيرة من الشُّعراء لم يفتخروا بآبائهم، ولم يذكروهم في أشعارهم «أفكل هؤلاء لم يكن يعرف أباه، ولا يثبت نسبه لضعفه وخسته»[4].

[1]– أنور الجندي، المسجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2 2008، ص. 202.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص. 202.

[3]– المرجع نفسه، ص. 203.

[4]– المرجع نفسه، ص. .203.

ويضرب محمود شاكر مثلًا في ذلك أن أبا جرير الشّاعر ل، م يكن شيئًا، وأن جريرًا أضاف إليه من الخلال والخصال والأخلاق ما لم يكن منه بسبب غلب به الشُّعراء، وقهر به الفحول، مع أنّ جرير كان شّعره أكبر من غروره، وأنّ طبع أبيه، قد خذله وأعياه، فأنجد شِّعره، وأعانه على أن يخلقه خلقًا جديدًا[1].

وأشار شاكر إلى أنّ المتنبي، كان قادرًا أن يفعل مثلما فعل جرير، وأن يفتخر بأبيه السقاء، ولماذا لم يقول طه حسين :«أما المتنبي فلم يستطع شِّعره أن يغل غروره (!!) ولم يستطع أن يُضيف إلى أبيه ما ليس فيه، ولم يستطع أن يخلق أباه خلقًا»[2].كما فعل جرير بأبيه.

وذهب شاكر إلى أنّ طه حسين أراد أنْ يثبت المتنبي لا ينتسب إلى الرجال، لأنه لا يريد ولا يستطيع أن يجد في الانتساب إلى الرجال عناء، وأن المتنبي هو الذي يأتي شعره بالدليل على ذلك فهو يقول:

أنا آبنُ مَنْ بعضُهُ يفوقُ أبا البـ ـاحِثِ والنجلُ بعضُ مَنْ نَجَلَهْ

وإنّما يذكرُ الجدودَ لهم مَنْ نَفَروهُ وأنفَدوا حِيَلَهْ

ويُعلق محمد شاكر في حد قوله :« هذا الذي يقول فيه طه حسين ، إنّه ينسب نفسه إلى متجزئ بعضه يمتاز عن كله، وأنا أتولى تفهيم طه حسين معنى هذا الشِّعر، فالمتنبي يقول: أنا أبن من ولده يفوق أبا الباحث، ويعني بذلك نفسه، هذا كل ما أراد المتنبي أن يقول»[3].

[1]- أنور الجندي المسجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة، ص. 204.

[2]- المرجع نفسه، ص .205 .

[3]- المرجع نفسه، ص .206.

والذي أوهم طه حسين فأوقعه فمرغ كلامه في هذا المجتزئ الذي له بعض يمتاز عن كله، هو قول المتنبي بعضه في البيت، ولعلّ جبلة طه حسين أو عبقريته تقول: فلماذا لم يقل أنا ابن من نجله...؟ فلو قال المتنبي ذلك لما كان قوله والنجل من بعض من نجله، يعطي من المعنى إلا أقله ولا يزيد في كلام أبي الطيب شيئا، لأنها حقيقة معروفة ابتداها، ولكن المتنبي أراد أن يقول للسائل[1].

وخلص محمد شاكر في تفسير هاذين البيتين اللّذين أوهمَا طه حسين إلى أن الحقيقة المقررة، هي أنّ الولد بعض الوالد " أي جزء منه"، فإذا كان الولد " وهو جزء" يفوق أباك "، وهو الكل " فما ظنك " بالكل"، الذي يكون جزؤه " خير من" كل أبيك"، ولذلك قال المتنبي " بعضه ولم يقل نجله"[2].

إذا فشك طه حسن في نسب المتنبي قضية باطلة، ذلك أنّ التاريخ يشهد أنّ القليل من الشُّعراء هم الذين رثوا آباءهم وأمهاتهم، وأظهروا الحزن عليهم في أشعارهم، فهل بقية الشُّعراء، وهي البقية الكثيرة الذين لم يذكروا آباءهم، ولم يفتخروا بهم في أشعارهم، نصِفهم بأنّهم مجهولين النسب[3].

بل إن عبقرية طه حسين هي: «تصور الأشياء كما تريدها، لا كما يجب أن تكون !، فيتورط فيحتال، فتكون حيلته كالكذبة البلقاء، ولا تجد ما يسترها»[4].

وخلاصة القول في شأن هذه القضية، لا نجد في النّاس من يطيق أن يتابع طه حسين في شكه من أجل علل كعدة العلل، فإنّ وجدته فلن تجد من يتابعه في أنها دليل على أن المتنبي لم يعرفه

[1]- ينظر: أنور الجندي المسجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة، ص. 204.
[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص. 107.
[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص .107.
[4]- المرجع نفسه، ص .108.

أباه، وأكبر الظن أن كل من قرأ كتاب طه حسين، يشعر أن هذه العلل علل مفتحة للشك، لما في نفس طه حسين، ولا في نفس أحد غيره، ممن يريد أن يدرس المتنبي.[1]

ولتكون هذه الخصومة واضحة أجلّ وضوح، والتي يشهد لها التاريخ ويثبتها، ذلك أنّ كتاب محمود شاكر عن المتنبي، صدر عام 1936م، بيد أن كتاب طه حسن "مع المتنبي "صدر عام 1938م، وعلى الرغم من أنّ طه حسن نّقد في كتابه كتاب شاكر، إلا أنّه لم يستطع أن يمنع نفسه من يسلك سبيلًا يقلد فيه محمود شاكر، ولذا هاجم شاكر ما كتبه طه حسين في ثلاثة عشر مقالة في جريدة البلاغ تحت عنوان " بيني وبين طه"، اتهمه فيها بأنَّه سطا على أفكاره وحذا حذوه، ويظهر ذلك جليًا في حد قوله : " أنّ كتاب طه حسين محشو بأشياء كثيرة، تدل دلالة قاطعة على أنّ طه حسين ، لم يسلك هذا الطريق الجديد على كتبه في كتاب المتنبي إلا بعد أن قرأ كتابه[2].

2/ معركة في تحقيق كتاب طبقات حول الشُّعراء لمحمد ابن سلاح الجمحي:

من المعارك الأدبية لمحمود شاكر هي معركتهُ في تحقيق كتاب ابن سلاح الجمحي، بنيه وبين المحقق اللغوي الأديب السيد أحمد صقر.

وقد بدأت هذه المعركة حين طبع أحمد صقر تحقيق " طبقات فحول الشعراء" سنة 1952م، وكتب أحمد صقر مقالته ردودًا على محمود شاكر في مجلة " **الكتاب**" انتقد فيها جوانب من عمله في تحقيق كتاب " **طبقات فحول الشعراء**"، ومن أهم نقود أحمد صقر في نقل محمد شاكر كل ما رآه مرويًا عن ابن سلام من الأخبار والأشعار، التي تتعلق بالشُّعراء الذين ذكروا في الطبقات، واتهم أحمد صقر محمد شاكر أّنه عمد إلى الأغاني وإلى الموشح للمزرباني وإلى أمالي للزجاجي، وإلى الشِّعر والشُّعراء في تكميل نقص " كتاب الطبقات" ونقل عنهم نحو من أربعين نصًا، وأدخل شاكر هذه

[1]- أنور الجندي المسجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة، ص . 208.

[2]- - ينظر: محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مطبعة المدينة، القاهرة، مصر، ب ط، 1987، ص . 16.

النقول في ثنايا الكتاب وأدمجها في تضاعيفه، وقد وضعها في أماكنها بظنه واجتهاده، وصرح بذلك في اثنتي عشر موضعًا، وأحمد صقر لا يؤمن بأنها من نص طبقات الشُّعراء، إذ ليس هناك دليلٌ على أنها من نصها[1].

وفي ذلك يقول أحمد صقر في تغيير محمد شاكر لاسم الكتاب الذي عرفه به وهو "طبقات الشُّعراء" لا " طبقات فحول الشعراء"، وليس في قول ابن سلام: فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرًا، دلالة على الاسم الذي اختاره الشارح -يقصد شاكر -لأنّه قال أيضا: فصلنا أصل الجاهلية، والإسلام، والمخضرمين، فنزلناهم منازلهم، واحتججنا لكل شاعِر بما وجدنا له من حجة[2].

ومن قوله: «لو اتخذنا فضفضة اسم الكتاب ذريعة إلى تغير اسمه لبدلنا كثير من أسماء الكتب، فإن أكثرهم لا يطابق اسم موضوعه، وهل يطابق اسم الكامل للمبرد موضوع كتابه؟ كلّا»[3].

وفي ذلك يقول محمد شاكر ردًا على أحمد صقر فيما يتعلق باسم الكتاب أنّه فرط في الإبانة عن حجته في تسمية الكتاب، وقال محمد شاكر: «إني ذكرت في هذا الموضوع عن المقدمة نصين عن ابن الفرج أغفلهما محمد شاكر في نّقده أحدهما في ترجمة المخبل السعدي، إذ يقول " ذكره ابن سلاح في الطبقة الخامسة من فحول الشُّعراء" والآخر في ترجمة عبيد بن الأبرص، إذ يقول والآخر في الطبقة الرابعة من فحول المشهورين على الأربعين شاعرًا "، كان بينا لمن يستبين أن ابن سلام لم يؤلف كتابه إلا لذكر طبقات " فحول الشُّعراء" في الجاهلية والإسلام واقتصر عليهم»[4].

[1]- ينظر: السيد أحمد صقر، مقالات العلامة المحقق اللغوي الأدبي السيد أحمد صقر، جمع وإعداد بن موسى الحازمي، دار التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، 2009، ص.ص.377-387.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص. 379.

[3]- السيد أحمد صقر، مقالات العلامة المحقق اللغوي الأدبي السيد أحمد صقر، ص. 380.

[4]- عادل سليمان، جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر، ص. 902.

– معركته مع علي جواد الطاهر:

كتب علي جواد الطاهر مقالته " **طبقات الشعراء مخطوطا ومطبوعا**" ردًا على محمود شاكر سنة 1964م، نقدًا لكتاب " **طبقات فحول الشعراء** "، الذي نُشر سنة 1952م، وعلي جواد الطاهر نشر مقالته في مجلة " **المورد**" في عددها الثالث سنة 1979م، وبعد ما طبع الطبقات الطبعة الثانية سنة 1974م، وفي مقالته أنّه يُرجح أن أبا الفرج الأصفهاني لا ينقل من كتاب طبقات الشُّعراء مباشرة، ويقول أنّ محمد شاكر لم يكن دقيقا في تحقيقه، وربما كان غير دقيق كذلك في النسخة الأولى للمخطوطة، وأنّ محمد شاكر يزيد كلمات، وينقص كلمات، ويزج بكلمة " فحول" زجًا[1].

وقد ردّ محمد شاكر على جواد الطاهر في كتابه "**برنامج الطبقات فحول الشعراء** " كان في الأصل موجهة إلى مجلة " **المورد**"، ولكن محمد شاكر لم يرد أن يكلف المجلة مالا تطيق، فإنَّه أضاف هذا الكتاب إلى طبقات فحول الشُّعراء، وجعلها الديباجة أو الفاتحة لها، وقد علق محمود شاكر في حد قوله: «ومن العجب أنْ يأتي آت لم يتمرس بما تمرست به، حتى وضعت منهجي وطبقته تطبيقًا مبثوثًا في كل كتبي، يأتي من هذا الآتي، وعليه طيلسان فيأخذ كتبي، فيقرأها بلا فهم، ولا عناية، ولا مراجعة، ولا تثبيت، فيظن في نفسه الظنون، فينقد ما كتبت»[2].

هذه هي أبرز الخصومات والمعارك الأدبية لمحمود محمد شاكر، وكانت جلها في الدفاع عن اللُّغة العربية وأعلامها، وراية الإسلام، والتراث العربي الأصيل، بما فيه الشِّعر الجاهلي، الذي يُعتبر ديوان العرب.

[1]– إبراهيم خليل العلاف مجلة المورد، تح: عبد الحميد العلوجي، وحارث طه الراوي، وزارة الإعلام والثقافة، العراق، مج.8، ع.3، 1979م، ص.ص. 25-26.

[2]– أبو فهر محمود محمد شاكر، برنامج طبقات فحول الشعراء، ب ط، ب س، ص.19.

خاتمة

لقد حاولنا من خلال هذا العمل أن نلخص جل الأفكار وأهم القضايا التي جاء بها كتاب الدكتور محمود محمد شاكر الموسوم بـ "قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي"، محاولين قدر الإمكان بأن نلم بجميع جوانب هذا الكتاب.

ويستحيل أن يكتمل عملنا دون أن نقدم بعض النقاط والنتائج التي تلخص جل ما جاء في الكتاب في موجز قصير أو في نقاط معدودة والمتمثلة في:

- لكتاب قضية الشِّعر الجاهلي في كتاب ابن سلام أهمية كبيرة في النّقد العربي، حيثُ استطاع محمد شاكر الكشف عن الوجوه الملثمة التي أحاطت برسالة الطبقات، مزيلًا الإبهام الذي اكتنفها، سيما وأن كتاب الطبقات يُعدُّ اللبنة الأولى في النقَّد العربي القديم.
- ومن فضل جهوده أيضًا على رسالة الطبقات، أنّهُ أعاد النظر فيها وقسمها إلى ثلاثة سياقات، وأعاد ترتيبها إلى ثلاثة سياقات مما سهل فهمها، وأذهب الغموض عنها.
- تعتبر قضية أولية وعمر الشِّعر الجاهلي من أبرز القضايا التي شغلت العديد من النُّقاد والأدباء، على اختلاف آرائهم، فقد نظروا في أولية وعمر الشِّعر الجاهلي، فهناك من ذهب، إلى أنَّ الشِّعر أن نحدد له بِداية يقف عليها، وأن بدايتهُ تعودُ إلى ماضٍ سحيق، وهناك من رأى أنّ صغير السن، حديثُ الميلاد.
- كما اختلفوا أيضًا في قضية انتحال الشِّعر، ففريق إلى أنَّ الشِّعر بعضهُ منتحل موضوع، وبعضه صحيح خُلِط بغثٍ مصنوع، وذهب فريق بعدم صِحة الشِّعر، وأنَّهُ ليس وليد عصره، وأنّهُ مكتوب بعد نزول القرآن.
- بينما محمد شاكر فالشِّعر عنده ظلَّ سليم مبرأ من العيب، محفوظًا بالكرامة والصِدق، حتى تلقاه العماء إلى أواخر القرن الأول من الهجرة.
- خاض محمد شاكر العديد من المعارك ذودًا ودفاعًا عن اللّغة العربية وأعلامها، والتُراث العربي، وخاصة الشِّعر الجاهلي.

- ومن أبرز معاركه هي معركته مع طه حسين، الأولى حين سطا طه حسين سطوًا كبيرًا على آراء مرجليوث في شكه في صحة الشّعر الجاهلي، ولم ينسبها إليه، والثانية حين ألّف طه حسين كتابه "مع المتنبي" وشك في نسب المتنبي، فردّ شاكِر عليه مدافِعًا المتنبي ونسبه.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أولا: المصادر.

1. أبو عمرو خليفة بن الخياط، طبقات خليفة بن خياط، تح: سهيل زكار، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، 1993.
2. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني تح: علي عبد الباري عطية، ج3، ط1، دار الكتب العلمية _ بيروت، 1415هـ.
3. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن جحر، تح: عبد السلام هارون، ج1، طبعة الحلبي، القاهرة، ط2، 1967.
4. الجمحي ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، ج1، دار المدني، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت .
5. الزمخشري، أبو قاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل، تح: عبد الرزاق المهدي، ج1، دار إحياء التراث العربي _بيروت، د.ط، د.ت.
6. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، 1998.
7. عماد الدين، أبو الفراء إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تح: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ج1، دار هجر، القاهرة، ط 1، 2003.
8. القرشي أبو زيد، محمد الخطاب، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تح: علي محمد البجاوي، نهضة مصر، د.ط، 1981.

9. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964.

10. محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ط1، 1997.

ثانيا: المراجع.

1. أنور الجندي، المسجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2 2008.

2. البهبيتي، نجيب محمد، الشعر العربي في محيطه التاريخي القديم، دار الثقافة للنشر والتوزيع المغرب، ط.1، 1987.

3. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، بيروت، ط.4، 2002.

4. الرازي أبو حاتم أحمد بن حمدان، كتاب الزينة في الكلمات العربية الإسلامية، تحقيق حسين بن فضل الله الهمداني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط1، 1995.

5. الرافعي مصطفى الصادق، تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان، مصر، الطبقة الأولى، 1997.

6. السيد أحمد صقر، مقالات العلامة المحقق اللغوي الأدبي السيد أحمد صقر، جمع وإعداد بن موسى الحازمي، دار التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، 2009.

7. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، الطبعة السابعة، القاهرة، دار المعارف، ب س.

8. طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، السعودية، ب.ط، 2004.

9. طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع هجري، مكتبة الصفاء، أبو ظبي، الإمارات، ط1، 1997.

10. طه حسين، في الأدب الجاهلي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 1927.

11. عادل سليمان، جمهرة مقالات الأستاذ محمد شاكر، مكتبة القانجي، ب.ط، ب س.

12. محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مطبعة المدينة، القاهرة، مصر، ب ط، 1987.

13. ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ط7، بيروت، دار الجبل، 1998.

14. يوسف خليف، دراسات في الشعر الجاهلي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1981.

ثالثا: المراجع المترجمة

1. مرجليوث ديفيد صمويل، نشأة الشعر العربي ضمن كتاب دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، ط1، لبنان، 1979.

2. كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ج1، ط5، 1959.

رابعا: المجلات والدوريات.

1. باديس فو غالي، أولية الشعر والنقد القديم، مجلة الموقف الأدبي، العدد398، حزيران 2004.

2. بلوني محمد، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقالاته الشعر الجاهلي، بحث في تجليات القراءات السياقية، مجلة التراث العربي، العدد 81 _ 82، 2001.

3. إبراهيم خليل العلاف، مجلة المورد، تح: عبد الحميد العلوجي، وحارث طه الراوي، وزارة الإعلام والثقافة، العراق، مج.8، ع.3، 1979.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات:

شكر وتقدير

إهداء

البطاقة الفنية للكِتاب والكَاتب.....

مقدمة..... أ-د

مدخل..... 06

الفصل الأول: تلخيص كتاب" قضية الشِّعر الجاهِلي في كتاب لابن سلام "

- الدراسة الأدبية والمنهج..... 16
- عمر الشعر الجاهلي ورأي الجاحظ فيه..... 18
- رسالة ابن سلام " طبقات فحول الشُّعراء" ورأي محمد شاكر فيها..... 24
- رسالة الطبقات وسياقاتها..... 25
- الوجوه الخمسة الملثمة في رسالة الطبقات..... 25
- أسانيد الطبقات وقيمتها..... 29
- تاريخ تأليف ابن سلام..... 30
- أثر تأخر سنه تأليف الطبقات..... 31
- عصر ابن سلام..... 33
- التذوق أساس الحضارة وأمثلته..... 33
- عودة إلى محمد ابن سلام والدعي إلى تأليف كتابه..... 34
- لقاء ابن سلام ويحي ابن معين..... 35
- تفكك فقرات ابن سلام وتعليل ذلك..... 36
- الذين عناهم ابن سلام بقوله " القوم "..... 37
- بقية الكشف عن الوجوه الملثمة..... 39
- طرق تلقي الشِّعر..... 40
- تذوق الكلام وكيف كان..... 42

- القرآن ونزوله وصلته بالتذوق الشعري..... 43

الفصل الثاني: دراسة كتاب" قضية الشِّعر الجاهِلي في كتاب لابن سلام "

I- أولية الشعر الجاهلي وأراء النقاد فيها..... 49

1/ أولية الشِّعر أولية موغلة في القدم..... 49

2/ نسبةً إلى سيدنا نوح..... 49

3/ نسبة الشِّعر إلى قوم عَاد وثَمود..... 51

4/ نسبة الشِّعر إلى عهد إسماعيل عليه السلام..... 53

5/ أولية الشِّعر الجاهلي "أولية حديثة"..... 55

II- قضية الانتحال..... 63

1/ الانتحال عند القدامى..... 63

2/ قضية الانتحال عند ابن سلام الجمحي..... 63

3/ قضية الانتحال عند الجاحظ..... 68

4/ قضية الانتحال في الشِّعر الجاهلي عند المحدثين العرب والمستشرقين..... 70

III- من أبرز خصومات محمد شاكر الأدبية..... 80

1/ بينه وبين طه حسين..... 80

2/ معركة في تحقيق كتاب طبقات حول الشُّعراء لمحمد ابن سلاح الجمحي..... 85

خاتمة..... 89

قائمة المصادر والمراجع..... 92